



١

كانت مدن أنجلترا وقراها على عهد قصتنا هذه ، ترزهى بما كام فيها من ملاجئ البر والإحسان ، فنى ملجأ من تلك الملاجئ ، ولد ذات يوم وليد جديد معدودات ، فلم يعرف إلى أية طبقة من طبقات المجتمع مولده بدقائق معدودات ، فلم يعرف إلى أية طبقة من طبقات المجتمع ينتسب هذا المولود الجديد، أهو ابن عظيم من العظماء ، أم ابن متسول من المتسولين ؟ فتبنته إدارة الملجأ ، وأطلقت عليه اسم « أوليقر تويست » وعهدت في تنشئته وتربيته إلى دار من دور رعاية الطفل ، ريما يكبر ويترعرع فتستعيده إليها ، وتستخدمه في بعض الأعمال . فقد كان من أنظمة تلك الملاجئ الخيرية ، أن توفر المأوى والغذاء لمن يلتجئ إليها أنظمة تلك الملاجئ الخيرية ، أن توفر المأوى والغذاء لمن يلتجئ إليها

الناشُرُ : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش افتيل – الفقاهرة ج . م . ع

أو تتبناه ، على أن ينهض بما تفرضه عليه من عمل وخدمة ، ولن يشذ بطل تصتنا هذه عن ذلك النظام ، فسوف يعود بعد سنوات إلى الملجأ الذي وليد فيه ، ليقوم بالعمل الذي يُطلب منه ، لقاء ما يقتات به من كُسيَيْرات الحبز أو فُتات الطعام .

هبط «أوليڤر تويست» إلى هذه الدنيا وهو يبكى ويصيح، ولو عرف فى ساعة مولده أنه جاء إلى هذا العالم يتيماً فقيراً، وأنه سيعيش فيه فريسة العذاب والجوع، وعرضة النهر والضرب، يزدريه الناس، ويضنون عليه بالعطف والحنان – لو عرف فى ساعة مولده ذلك كله لزاد من بكائه وصياحه . . . .

ولماً بلغ التاسعة من عمره ، كان سوء التغذية في الدار التي نشأ فيها ، قد جعل منه طفلاً هزيلاً شاحب اللون قصير القامة ، ولكن الطبيعة أو لعلها قوانين الوراثة كانت قد عوضته عن ذلك، وحبَاتُه بفكر نيسًر، وذهن ثاقب ، وسريرة مستقيمة .

واتلَّفق فى اليوم الذى تخطى فيه عتبة السنة التاسعة من عمره ، أن كان هو ورفيقان له محبوسين فى القبو الذى يخزن فيه الفحم والحطب فى تلك الدار ، نزلوا إليه بعد أن أشبعتهم مديرة الدار ضرباً وركلاً ، وكل جريرة هؤلاء الصبية الصغار أنهم جرؤواعلى الشكوى من الجوع الذى يقرص بطونهم .

وبسينها قببَع هؤلاء الثلاثة في حبّسهم المظلم، أقبل موظف من موظفى الملجأ يزور الدار زيارة مفاجئة ، وكان مجلس إدارة الملجأ قد ناط به تفقيد الصبّية ورعاية شؤونهم . ولشد ما ارتبكت مديرة الدار من تلك الزورة الطارئة ، فأمربت على الفور إحدى مساعداتها بإطلاق سراح الأطفال الثلاثة ، وتنظيف ملابسهم ، ثم خفيّت إلى استقبال الزائر متصنّعة السرور بلقائه ، فابتدرته قائلة :

- « أهلاً وسهلاً بالزائر الكريم ! » ثم سألته متظرفة : ﴿
- « ألك يا سيدى بكأس من نبيذ؟ إن العرق يتصبب من جبينك، فلا بد أنك قادم من مكان بعيد . . . ولعلك لا تدهش يا سيدى من وجود قليل من النبيذ في دارنا ، فإني أضع منه قد ر ملعقة أو ملعقتين في الحساء الذي أقد مه لأعزائي الصبية الثلاثة ، عندما يكونون مصابين بالبرد أو بشيء من اعتلال المزاج » .

فشكرها الزائر واعتذر عن الشراب وقال:

- « إن الطفل الذى أطلقنا عليه اسم " أوليڤر تويست " قد بلغ اليوم التاسعة من عمره . . . ولقد ذهبت مساعى المجلس أدراج الرياح فى معرفة اسم والديه وبيئتهما ، مع أنسًا رفعنا قدر المكافأة عن ذلك إلى خمسة عشر جنيهاً . . . » فقالت المديرة :
- ﴿ لَا أَكْتُمَكُ يَا سَيْدَى أَنَّى أَحْبُ هَذَا الصِّي حَبًّا جَمًّا ، كَمَا لُوكَانَ

6666666666666 V 333333333333333333

افعًا من لحمى ودمى ». فأثنى الموظف على عاطفتها الرقيقة وحنانها ثم قال: المسلم المعلمين ياسيدتى أن "أوليقر" قد بلغ من العمر حدًّا لا يسسمت للما المنهاء في هذه الدار ، ولقد قرر مجلس إدارة الملجأ أن يستعيد الطفل لا ويضمنه إلى خد م الملجأ ، وها أنا ذا قد جئت أنفل قرار المجلس فعلى "بالطفل في الحال! » فنهضت المديرة وخرجت من الحجرة وهي تقدل :

\_ « سمعاً وطاعة يا سيدى . سآنيك به في الحال! »

وغابت المديرة لحظات ، ثم عادت ممسكة بيد « أوليڤر » بعد أن أصلحت قليلاً من هندامه ، فلما توسطت وإياه الحجرة قالت له :

مِعْمَلُهُ وَاللَّهُ أَوْلِيقُو " السيد " بمبل " » .

المعيناة الطفل تحية طيبة فقال له هذا:

\_ « أريد أن تصحبني يا " أوليڤر " » فقال الطفل :

\_ « أتسمح لى بذلك سيدتى المديرة ؟ » فقال « بمبل » :

فَ اللَّهِ اللَّهِ الْمُطْنَعُ أَنْ مَانَعُ فَى رحيلك معى يا "أُوليڤر " ، ثم إنها تستطيع اللهُ شَرَّوْرُكُ حَيْثًا بِعَدَ آخَرَ " .

مُسمَّ أَلَّهُ بِيَّا عُوامِلُ الانفعال في قلب الطفل الصغير ، فقد سرّه أن يُنقذه الرجل من هذا الجحيم الذي يعيش فيه ، ولكنه وهو الطفل الصغير ، فأن أن يتصنع الكابة ، فتذكر الضربات التي تلقاها من

المديرة قبل أن تحبسه فى قبو الفحم والحطب ، فانهالت عبراته وأخذ يبكى وينتحب ، فطيسبت المديرة خاطره ، وأوسعته قبلًا ، ثم جاءته ببعض الحلوى حتى لا يصل إلى الملجأ وهو يتضوّر من الجوع . وسار الموظف بعد قليل بالطفل ، وخرجا معاً من تلك الدار التى قضى فيها « أوليفر » تسع سنوات مملوءة بالبؤس والحرمان ، ولم يأسف إلا على فراق صديقيه الطفلين اللذين ربطته بهما أواصر الشقاء .

وصل « بمبل » بالطفل إلى الملجأ ، وسلمه إلى بعض العاملات فيه ، وعاد بعد ربع ساعة يقول للطفل إن مجلس إدارة الملجأ منعقد ، وقد بعثني أدعوك إليه ، فحار الطفل في أمره ، ولم يستطع عقله الصغير أن يفهم معنى « مجلس الإدارة » وما ينطوى عليه ، فتوقع أن يناله منه الأذى والضر ، فلا الحوف صدره واستسلم للبكاء .

على أن الموظف لم يترك له فرصة طويلة للبكاء والعويل، فمنه قره بعصاه على أم رأسه نقرات خفيفة ، أعادت البه رقيله ، وأمره بأن يتبعه ، فوصلا بعد قليل إلى حجرة واسعة رأى الطفل فيها عشرة أشخاص ضخام قد جلسوا حول منضدة طويلة ، يتوسطهم رجل "أضخم منهم جميعاً ، مستدير الوجه ، منتفخ الأوداج ، قد جلس على مقعد أعلى من بقية المقاعد التي جلس عليها هؤلاء الرجال .

وبينما كان « أوليڤر» يمسح عبراته ، سأله رئيس الجماعة :

6666666666666 1 22222222222222



## - « ما اسمك أيها الصغير ؟ »

فسكت الطفل ولم يجب ، فإن منظر هؤلاء الرجال العشرة ، قد أثار في نفسه الرعب وكم فه ، فكال له الموظف الواقف خلفه بضع ضربات بعصاه على ظهره ، فازداد الطفل خوفاً ، وأجهش بالبكاء ، فقال رجل من الرجال العشرة وكان يلبس صداراً أبيض :

- « إنه طفل بليد " أبله » . فقاطعه رئيس الجماعة وقال :

- « أنت تعلم أيها الصغير أن لا أب لك ولا أم ، وأن هذا الملجأ قد عُني َ بتربيتك ؟ » فقال « أوليڤر » وهو يبكي بكاء ً مُراً :

« نعم یا سیدی »! فقال الرجل ذو الصدار الأبیض :

- « ولماذا تبكى إذن . . . غريبٌ يا ناس شأن هذا الطفل . . . ما الذى يُبكيه ؟ ! » فقال الرئيس :

- « أعدناك إلى الملجأ أيها الصغير ، لتستكمل تربيتك وعلومك ، ولتتعلم مهنة تنفعك في الحياة » . فقال الرجل ذو الصدار الأبيض :

- « فنى الساعة السادسة من صباح غد تبدأ بتقشير البطاطس ... » وحتم المجلس أقواله مع الطفل على هذا النحو ، ثم خرج الموظف بالطفل ، واستودعه رجال الملجأ ، فقادوه إلى اغرفة النوم الفسيحة ، فارتمى على سرير غليظ فيها ، واستغرق في نوم عيق .

وصحا في صباح اليوم التالى ، فانضم للى رفاقه في الملجأ ، وبدأ يعمل

66666666666666 1. 22222222222

الدهش والاحتقار ، فقال الرئيس يخاطب الموظف « بمبل » :

- « أطلبَ مزيداً من الطعام ، بعد أن أكل النصيب المقرّر وفقاً للوائح المجلس ؟ » فقال « بمبل » :

- « نعم يا سيدى ! » فقال الرجل ذو الصدار الأبيض :

- « ستكون خاتمة هذا الطفل حبل المشنقة . . . أجل ستكون خاتمته حَبَيْل المشنقة . . . »

وتداول المجلس في الأمر ، فقرّر أوّلاً حبس الطفل « أوليقر » في قبو الملجأ ، وقرّر ثانياً إصدار إعلان يعلق على باب الملجأ ، ويدُ كر فيه أن الملجأ يمنح مكافأة قدرُها خمسة جنيهات لمن يعنى إدارة الملجأ من الطفل « أوليقر تويست » ويتكفل بمأواه وغذائه ، ويكون من حقه أن يلحقه لديه بأى عمل من الأعمال .

وُنفَّذَ قرار المجلس فزُجَّ « أوليهُر تويست » فى القبو المظلم ، وعُلُقَ على باب الملجأ الإعلان الذى أراده مجلس الإدارة ، وانقضت أيام تسعة ، فلم يتقد م أحد لإعفاء الملجأ من ذلك الصبى النَّهـِم الأكول .

وفى اليوم العاشر ، جاء إلى الملجأ رجل طويل القامة ، نحيف البنية قويها ، مفتول العضلات ، عابس الوجه ، وكانت صناعة الرجل دفن الموتى وصنع التوابيت ، فاستقبله موظف الملجأ ، وتبادل وإياه التحية ، ثم خاضا معاً فى الحديث عن الصبى « أوليفر تويست » فقبيل

معهم فى جد ونشاط ، وقضى على هذه الوتيرة نحواً من ثلاثة أشهر ، ناهضًا بما يُطيق ولا يطيق من الأعمال ، متغذِّياً بأقل من القليل من الحبز والحساء. فما كانت حاله فى الملجأ بأحسن منها فى الدار التى تركها.

وفى مساء يوم من الأيام ، بلغ الجوع مبلغه من «أوليڤر » ورفقائه الصغار ، فاتفقوا فيا بينهم على أن يختاروا واحداً منهم ليطلب من الطباخ مزيداً من الحساء ، حيما يجمعهم فى غرفة الطعام ، ويوزع عليهم نصيبهم من ذلك القوت الذى لا يروى ولا يُشبع ؛ فوقعت القرعة على «أوليڤر » فنهض يقدم وجلا ويؤخر أخرى ، وحمل قصعته بيده ، وفهب إلى الطباخ وقال له وهو يرتجف من الخوف :

- «سيدى! هل لك أن تمن على بقد ر آخر من الحساء ؟ » فكاد الطباّخ يغمى عليه من الدهش والاستغراب، وعد هذا الطلب من الطفل الصغير جرأة ما بعدها جرأة ، حتى إذا ثاب إليه رشده انطلق على بدانته وغلاظة جسمه ، يخبر موظف الملجأ بذلك الحد ت العظيم ، فخف « بمبل » وهو لايقل عنه دهشة واستغراباً إلى مجلس الإدارة ، وكان منعقد آ يصر ف شئون الملجأ ، فلخل على أعضائه بلا استئذان وصاح يخاطب الرئيس :

- «سيدى ! إن الطفل " أوليفر " قد طلب المزيد من الطعام ! » فارتسمت على وجوه أعضاء المجلس عند سماعهم هذا النبأ ، أمارات

\$66666666666 11 99999999999999

## الغلام قائلاً وهو يمسح عَبَرَاته :

- « لا. لا یا سیدی... سأ کون ولداً طیتعیاً ... رحماك یا سیدی ... انی طفل صغیر قد نبذنی جمیع الناس ، فلیس مین یرحمنی أو یعطف علی ً . . . فناشدتك الله یا سیدی لا تغضب علی ً ! »

فأثر كلام الغلام فى قلب « بمبل » فتلطف فى الكلام معه، وربت على كتفيه ، ثم أمسك بيده وخطا به الحطوات القليلة الباقية دون حانوت صانع التوابيت . وكان قد أغلق حانوته نصف إغلاق ، وجلس يراجع أوراقه ، فدخل عليه « بمبل » ومعه « أوليقر » فحياه وقال :

ــ « ها أنا ذا قد جئتك بالغلام » .

فرفع الرجل الشَّمعدان الذي أمامه ، وعلا به فوق رأسه ليلتي نظرةً صحيحة على الغلام القادم إليه ، ثم نادى زوجته من داخل الحانوت ، فأقبلت مسرعةً فلما رأت الغلام قالت :

- « لله ما أضعفه وأشد هزاله ! » وفتحت المرأة بعد هذا الكلام باباً في آخر الحانوت ، ودفعت الطفل إلى سلم ضيق ينزل منه إلى قبو صغير رطب ، كانت المرأة قد جعلته مطبخاً تطهو فيه الطعام ، ثم نادت بأعلى صوتها خادمة لها تدعى « شرلوت » وقالت لها :

- « " شراوت " ! قد مح لهذا الغلام فضلات طعام الظُّهر ، ثم ارجعيه إلينا » . فتلقفته الخادمة ، وقد مت له نصيبًا وافرأ من الطعام ، فنسبي الغلام

الرجل أن يتكفيّل به ، ولكنه اشترط أن يُعيده إلى الملجأ ، إذا بدا له أن العمل الذي يقوم به لديه ، لا يتكافأ وما سينفقه عليه من كِساء وغذاء

وتمتّ الصّفقة بين الرجلين ، ونهض صانعُ التوابيت مستأذناً في الانصراف ، فود عه الموظف حتى الباب الخارجي للملجأ ، ووعده بأن يعرض طلبه على مجلس الإدارة ، فإذا وافق على ما اشترط ، ولا يخالُه إلا موافقاً ، فسوف يأتيه هو نفسه بالغلام في مساء ذلك اليوم

وعلم «أوليڤر تويست» بمصيره ، فلم ينبس ببنت شفة، فحمل صرَّة ملابسه وكانت أخف من الظل ، وخرج من الملجأ في صحبة الموظف إلى مكان جديد من أمكنة العلّذاب

وقُبينُل أن يبلغا حانوت الرجل ، شاء الموظف أن يلتى نظرة أخيرة على الغلام ، ويتفقد ملابسه وهندامه فقال له :

- " أوليڤر " فقال الغلام بصوت ضعيف مرتجف :

- « نعم يا سيدى ! » فقال « بمبل » :

- « لا تُشُدْرِل قبعتك حتى عينيك ، وارفع وأسك قليلاً »

فأطاع الغلام قائده ، وأمرّ كفه على عينيه ليمسح عبرة سخينة ، ولكن عيقيد الدمع انفرط من مآقيه ، فأخذ ينشج ويبكى ، وهو يحاول عبشًا أن يتجلّد ويصبر على بلواه ، فحدجه « بمبل » بنظرة قاسية وقال له:

- « ما رأيتُ ولداً أشد إنكاراً منك للجميل ... إنك ... » فقاطعه

66666666666666 11 222222222222

66666666666666 10 333333333333



۲

استيقظ «أوليڤر » فى الصباح الباكر ، على صوت ضربات متلاحقة تنقض على باب الحانوت ، فنهض من فراشه ، ومشى توا إلى الباب ، فسمع صوتاً يصيح قائلاً :

- « افتح الباب أيها الحقير! » فقال « أوليڤر »:
- « تمهل قليلاً يا سيلدى فالبابُ مُقَنْفَل » . فقال الصائح :
- « أعرف ذلك أيها الأبله ، ولكن حسبك أن تشد المزلاج فينفتح الباب » . وعمل « أوليڤر » بإشارة ذلك القارع الصائح ، فانفتح الباب ، فإذا به يرى فتى يكبره بعد أن سنوات ويقول له :
- « أأنتَ الغلام الجديد الذي التحق بالعمل في هذا الحانوت ؟ »

كل همومه ، وانكب على اللحم المُطَّبُوخ يزدرده بشهوة لا مزيد عليها ، فقلما كان قد ظفر حتى ذلك اليوم بوليمة كهذه الوليمة . وحرج بعد ذلك من القبو ، وكان الموظف قد انصرف ، فقالت له ربَّة الحانوت :

- « إن فراشك في صدر الحانوت ، فلا إخالك تخاف من النوم بين التوابيت ، وسواء خفت أم لم تخف ، فليس لدينا موضع آخر ترقد فيه » . وانصرف الرجل و زوجته والحادمة تاركين « أوليڤر»المسكين في ذلك المكان الرهيب الذي يأنف ويفزع أن ينام فيه الرجال الشجعان بله الأطفال الصغار . وبقي الغلام فليلا فريسة الهواجس والمخاوف ، تتراءى له الأشباح على ضوء الشمعة المتراقص ، ويخيل وليه أن التوابيت الموجودة في الحانوت ، قد ارتمت عنها أغطيتها ، وخرجت منها جثث الموتى بوجوهها الشاحبة ، وأيديها المعروقة ، فلم يتمالك عن الصياح رعباً وفزعاً ، ورد الصدى على صياحه فزاده فزعاً ، وكاد ينف قيده الصواب . وتحامل الغلام على نفسه ، وأهاب بشجاعته ، فضى إلى الشمعة فأطفأها ، وغطى عينيه براحتيه هرباً من رؤية الأشباح ، ومشى إلى فراشه يتعثر مرة وينهض أخرى .



غلظ الفتى « نوح » وشراسة خُلقه ، وقارِصَ أَلْفاظه .

ونزل ذات يوم «أوليڤر » و « نوح » معاً إلى المطبخ في ساعة الغلاء، وكان صاحب الحانوت و زوجته والحادمة غائبين عن الحانوت في تلك الساعة ، فاغتنم « نوح » الفرصة ، وأخذ يتغالظ ويداعب «أوليڤر » في قسوة مثيرة ، فتارة يشد له شعره ، وطوراً يقرصه من الذيه ، وحيناً ثالثاً يخطف نصيبه من الحبز واللحم ، وغلامنا صامت لايتكلم ولايتحرك ، فلما رأى « نوح » أن مداعبته الثقياة لم تستفز زميله المسكين ، عمد إلى طريقة أخرى لا يتعشمه إليها إلا الأنذال ، عندما يريدون أن يطعنوا عد تهم ، طعنة تجرح عزة نفسه ؛ فقال له :

-- « بأى داء ماتت أمك ؟» فقال « أوليڤر » وكأنه كان يناجي نفسه :

- « لقد قيل لى إنها ماتت يأساً وغماً ، وإنى لأدرك كيف يموتُ الناس من اليأس والغم » . ولمح « نوح » عبرة حرَّى تنهمر على خد «أوليڤر» فغلب عليه الفرح ، وشرع يدندن ويصفر ثم قال :

- « وما الذي يبكياك أيتُها الأحمق ؟ »
- « لا تظن أنك أنت الذي يبكيني » . فقال « نوح » ساخراً ؟
  - « من ذا الذي يبكيك إذن ؟ أذكراك لأمان ؟ »
- « لا. لست أنت الذى تبكينى . . . حسبك يا " نوح" وعمد عن
   ذكر أمتى» . فقال « نوح » ممعنماً فى صفاقته :

666666666666 N 2222222222

- « نعم يا سيدى » . فقال الفتى :

— « كم عمرك ؟ » فقال « أوليڤر » :

- « عشر سنوات يا سيدى » . فقال الفتى :

« ستنال قصاصاً أيها الدعى على تأخرك فى فتح الباب » .

فاعتذر « أُوليڤر » للفتي وقال له في دعة ٍ وتواضُّع :

- « لعلك محتاج يا سيدى إلى تابوت من التما البين ! » فاستشاط الفتى غيظاً ، وعد كلام « أوليڤر » مُ:احاً لا يليق أن يوجهه إليه ، فقال له وهو حانق :

- « إنك ولا شك لاتعرفُ من أنا أيها اليتيمُ الوقح . . . أنا " نوح " العامل فى هذا الحانوت ، وأنت مرؤوسى » . وركله برجاه ودخل إلى الحانوت ، وأقبلت فى تلك اللحظة الحادمة « شرلوت » ورأت الرفسة التى كالها « نوح » للغلام البائس فنهرته ؛ فقال لها :

« إن هذا الحقير يتيم لقيط ، فهل تريدين أن نعامله معاملة أبناء
 الأسر » . فقالت « شرلوت » .

( إنك فتى غليظ الكتبيديا " نوح " . . هيتًا هيتًا تعاليا معى إلى المطبخ لأعد لكما طعام الفطور »

وقضى « أوليڤر » نحواً من شه فى حانوت صانع التوابيت ، يقوم بما يهُوض عليه من عمل ، ويتحمل فى صبر عجيب ومضض شديد ،

666666666666 11 333333333333333

- « من حسن حظها أنها ماتت فلر بما كان مصيرها غياهب السجن أو حبل المشنقة ».

فاحتُقين وجه «أوليڤر » عند سماعه هذا الكلام، ونهض عن كرسية وانقض على « نوح » وأمسكه من عنقه ، وأخذ يهرَّه هرَّا عنيفاً ، ثم صفعه صفعة شديدة على وجهه طرحته ممدداً على الأرض.

أما كيف تحوّل « أوليڤر » الدَّمِث الأخلاق ، الرقيق الشّمائل ، الوديعُ الفؤاد إلى أسد هصُور يريد أَن يفتك بغريمه ، فلا يصعب إدراكه ، فإن تقديسه لذكرى أمّه ، وصوّن تلك الذكرى عن مطعن كل عابث غامز ، قد نفخ في قلبه الصغير روحاً من القوة والشّجاعية غلبّتُه على خصمه . وتطلّع « نوح » إلى « أوليڤر» فلاح له الشر في عينيه ، فأخذ يزعق ويصيح :

- « الغياث . . . المعونة . . أنْقيذُ ونى من الحجرم . . أنْقيذُ ونى من الحجرم . . أنْقيذُ ونى من الحجرم . . . " شرلوت " ! لقد أصيب " أوليڤر " بالجنون . . . ! إنه يهم " بقتلى . . . . " شرلوت " . . . . » .

وكانت ربَّةُ الحانوت والحادمة «شرلوت» قد عادتا من بعض شأنهما ، فسمعتا الصِّياح ، فهـُرِعتا إلى المطبخ ، وهالهما أن تريا «نوحاً » منطرحاً إلى الأرض ، و « أوليڤر » واقفاً له بالمرصاد ، فهجمتا على «أوليڤر » وطوّقتَاه بأذْرُعهما أولاً ، ثم كالتا له الضربات الأليمة ، فتشجع «نوح»

&&&&&&&&**&** Y. DDDDDDDDDDDDDDDD



ونهض هو أيضًا يكيل الرفس والركل للغلام الصغير .

وأمرت ربة الحانوت « أوليڤر ﴾ بأن يبقى فى المطبخ ، وخرجت هى والخادمة و « نوح » إلى الحانوت ، وأقفلت باب المطبخ ، فما كادت تستريح قليلًا حتى قالت :

- ﴿ وَالْآنِ مَا الْعَمَلِ يَا " شَرَلُوت" ؟ فليس في الْحَانُوت رَجَلٌ يُحْمَيْنَا مِنْ بَطْشُ هَذَا الْغُلَام . . . وزوجي لن يعود قريبيًا . . . أندعو رجال الشرطة ؟ » فقالت « شراوت » :

- « لا أميل إلى دعوة رجال الشُّرْطة ، وإنما أوثر أن ندعو موظف الملجأ الذى جاءنا بهذا الغلام ، فهو كفيل بتأديبه ... ثم ماذا لو انتظرنا سيدى زوجك ليرى رأيه فى هذا الغلام ؟ » فقالت ربة الحانوت :

- « نعثم المشورة مشورتُك ، فنحن الآن آمنُون شرالغُلام ما دام عبوسًا فى المطبخ ، ولسوف أقترح على زوجى أن يعيده إلى الما بأ الذى جاء منه ، فمحال أن نترك بيننا ولداً شرِرً يراً مثله » .

وهبط المساءُ ولم يعد صاحب الحانوت، فأغلقت زوجته الد كيّان، وانصرفت هي و « نوح » والحادمة . وكان « أوليڤر » قد استمع إلى حديثهم، وعرف أنه لن يطلع عليه الصّباح حتى يعود إلى الماجأ، ويرجع إلى شَظَف العيش والحوع، فاسود ت الدنيا في عينيه بعد أن كانت قد بدأت تبتسم له قليلاً، وتُووَفَرُ له رزقه من خلال التّوابيت ود فن الموتى،

وغملَبَ عليه الخوف فاستسلم إلى البكاء. وعلى حين فجأة ، دار في خملَده خاطر "ارتاح له ، فمَشَى إلى باب المطبخ ، وطَفَق يعالجه حتى انفتح ، ومضي منه إلى حيث يضع ملابسه ، فلفها في صُر "ته المعهودة ، ثم حمل الصر "ة ، وتلمس طريقه إلى باب الحانوت ، فشد المزلاج ، وفتح الباب ، وخرج إلى فضاء الله الواسع ، وقد عزم على مغادرة المدينة إلى حيث توصله قدماه ، فراراً من ضرب أهل الحانوت وقسوة رجال الملجأ .

كانت الليلة مظلمة باردة ، ونجوم السماء مختفية غائرة ، فمشى وأوليڤر السماء مختفية غائرة ، فمشى وأوليڤر الحوساعتين مبتعداً ما أمكنه الابتعاد عن الحي الذي عاش فيه مدة شهرين على وجه الته هُ ريب، ومر في سُراه بإحدى الحداثق العاملة ، فدخلها واستلقى إلى مقعد من مقاعدها الحشبيلة ، واتلخذ من صراته وسادة له ، وقرر فيا بينه وبين نفسه أن يقضى ليلته في ذلك المقعد ، ويستأنف المسير في الصباح .

ولم يكد الفجر يلوح بوجهه الوردى ، حتى نهض صاحبنا الصّغير من غَفَوْته ، فحمل صرّته وتابع سيره مخترقاً الأزقة والشّوارع ، فبلغ بعد ساعات الطريق العام ، فمشى فيه ساعات أخرى ، ثم أدركه النّعب والجوع ، فجلس فوق حجر من الأحجار على حافة الطريق ، يتبلّغ بكسرة من الخبز كان قد حملها معه ، ولاحت له فوق الحجر الجالس عليه لافتة تشير إلى أنه على بعد أربعين ميلاً من « لندن » ، فعزم أن

**6**66666666666 **YY** 9999999999999

## يجعلها خاتمة مطافه

و بعد أن استراح قليلاً ، وأسكنت عصافير بطنه بلُقَهْمة الخبز ، نهض يجد أفي السير بلا ملك ولا كلل ، حتى أدركه المساء فعرج على بعض المزارع ، واستلقى عند كومة من الحشائش ونام نومًا عميقًا .

واستيقظ في الصباح ، وتابع سيره إلى الوجهة التي تخيسًرها ، فوصل بعد قليل إلى مدينة صغيرة ، فدخلها واجتاز شوارعها ودروبها ، وانتهى به المطاف على شارع كبير فيها ، فأخذ يجول فيه ويتفرَّج على حوانيته ودكاكينه ، فلمح على الرَّصيف الآخر من الشارع غلاماً في مثل عمره يطيل النظر إليه ويتبعه عن بنعثد ، ثم رآه قد اجتاز عرَّض الشارع ، وجاء إليه وحياه وقال :

- « ماذا بك أيها الرَّفيق ؟ يلوح لىأنتك غريبٌ عن هذه المدينة » فحملق فيه « أوليڤر » فرآه غلاماً شنيع المنظر قلدر الشِّياب ، قد أمال قبعته إلى أذنه اليمني حتى لتكاد تقع ، و وضع يديه في جيبي سرْواله وهو يَشْمخُ بأنْفه ِ شأن كبار الرِّجال ، فرد « أوليڤر » على تحيته والدمع يكاد يطفر من عينيه وقال :

« إنى متعب جائع ، وقد قمت برحلة طويلة » . فقال الغلام:
 – « لا بأس عليك تعال معى . . . »

وقاده الغلام إلى بعض الأزقـّة المتفرعة على الشـّارع الكبير ، وأدخله

هعه مطعماً حقيراً المظهر ، وطلب له رغيفاً كبيراً من الخبر ، وقطعة المضافية من اللحم المقدد ، فانكب « أوليڤر » يلتهم اللحم والخبز التهاماً ، فلماً فرغ من تلك المأدبة الفاخرة ، قال له الغلام الغريب :

- « أذاهب أنت إلى " لندن " ؟ » فقال « أوليڤر » :
  - « نعم » . فقال الغريب :
- « ألديك فيها مسكن " يؤوياك ؟ » فقال « أوليڤر » :
  - \_ « كلا ً » . فقال الغريب :
  - ــ « أتحمل ُ شيئًا من النقود ؟ » فقال « أوليڤر » :
    - ــ «كلاً » . فقال الغريب :

- « اعتمد على واطمئن بالاً . . . فأنا ذاهب الى "لندن" ، وإنى الأعرف فيها شيخاً وقوراً يرضى أن يستضيفك عنده بلا مُقابِل ، إذا قد معارفه ، وسأقوم بهذه المهمة . . ولعله بعد أيام قلائل يجد لك عملاً ترتزق منه فتحسن حاللك » .

ومشى الغلامان فى طريقهما إلى «لندن » وكلدها جدد «أوليشر» فى سيره استمهله رفيقه ، وأنهى إليه أنه لا يبغى الوصول إلى «لندن » قبل منتصف الليل ، فكان له ما أراد ، وبلغ الغلامان العاصمة فى الوقت الذى حد ده ذلك الغلام الغريب ، فلحظ «أوليشر » أن وفيقه يقوده فى أزقة لم يرر قط أقد ر منها، ولا أحق من بيوتها، وأن الزقاق الضيق الذى

**6698**68**6**866866 Yo DDDDDDDDDDDDDD

وصلا إليه ، يبعث في النفس الكراهية والخوف ، فقد شاهد فيه على أبواب المنازل رجالاً ونساء ، يتقاذفون بالشتائم وهم سكارى ، فهم آن يغافل رفيقه ويهرُب من تلك البؤرة ، ولكن سببتى السيف العكر ل ، في اللحظة التي كانت تراوده فكرة الهرب ، د فيع رفيقه « جاك » بيده اليمنى باب أحد المنازل ، وأمسك يد « أوليقر » باليسرى ، وتخطيا معا عتبة الباب إلى رواق مظلم ، وطفق « جاك » يصفر صفيراً خاصاً . ولاح على الأثر شخص " يحمل في يده مصباحاً ، فأنار الرواق المفضى إلى سلم المنزل وقال :

- « من هذا الذي في صُحبتك يا " جاك "؟ » فقال « جاك » -

« عضو جدید یا " شرلو" . فقال « شرلو » وکان غلاماً فی مثل عمر « جاك » :

- « من أين قدّم ؟ » فقال « جاك » :

- « من بلاد السذَّج البلهاء! هل الشيخ " فاجن " هنا ؟ »

« أجل . إنه يرتب المناديل . هيئًا أقْسِلا » .

وعاد «شرلو » بمصباحه إلى حيث كان ، وصَعد ً « جاك » السلم وهو يقود وراءه « أوليڤر » ، وانتهيا منه إلى غرفة قذرة يضيئها قنديل ضئيل ، وقد جلس فيها إلى مائدة الطعام يهودئ عجوز ، متجعلًا الحدين بلشع القسمات ، كلَثُ اللحية والشَّعرَ .

666666666666 11 2222222222222

خاف « أوليقر » واضطرب ، ولام نفسه على أنه انساق غير عاميد للى تلك البؤرة التي لا تبعث على الارتياح، وأجال طبر فه فى أنحاء الغرفة، أفرأى فى صدرها عيد ة أفرشة مند ت على الأرض فراشاً جنسب فيراش، ورأى فى إحدى الزوايا مجموعة من المناديل، تراكم بعضها فوق بعض، المناديل، تراكم بعضها فوق بعض، المناديل، تراكم بعضها فوق بعض،

« أقد م لكما صديتى " أوليفر تويست " » .
 فضحك اليهودى العجوز ضحاك القردة وقال :

- « يسرّنا أن نراك بيننا يا سيد " أوليڤر " . . . تعال قاسمنا الطعام، فلا بد أنك جائع . افسيَحاً للضيف في المكان . . . »

وأهاب الجوع بالغلام « أوليڤر » فجاس إلى المائدة وهو لا يعى ما يفعل ، وأخذ يبتلع اللقمة تلو الأخرى ، ثم قدم له اليهودى كأسًا من الحمر ، وطلب إليه أن يشربها جرعة واحدة ففعل ، وارتمى بعد قليل إلى فراش من الأفرشة ، واستغرق في سُبات عميق .





٣

صحا « أوليڤر » فى صباح اليوم التالى من رُقاد ، وكانت الضحى قد ضربت أطنابها ، فأدار نظراته فى أنحاء الغرفة ، وعيناه شبه مُغمضتين ، فلم يجد فيها إلا اليهوديّ العجوز ، وقد جلس إلى المائدة ، ووضع عليها فنجاناً كبيراً من القهوة يرشف منه ذلك الشراب الأسود جرُعة بعد جرُعة.

ورآه بعد قليل قد عَمَد إلى الصَّفير والتغنى بكلمات متقطعة ، ثم سمعه يناديه باسمه فلم يجب« أوليڤر» النداء ، فالنوم كان لايزال عالقاً بأهدابه ، ولما أيقن العجوز أن « أوليڤر» غير صاح ، نهض إلى خزانة محفورة فى قلب الحائط ، ففتحها وأخرج من بعض أدراجها السرية ، عـُلبة كبيرة

6666666666666 YN DDDDDDDDDDDDDDDD

ركزَهمَا إلى المائدة وطَّفَقِ يقلَّب محتواها بين أصابعه ، وعيناه تَقدَّحان وشَّرَرِ الجشَّع والحذَر .

وحمد ق «أوليقر» من ثنايا جُفونه في ذلك الذي يقلبه اليهودي العجوز يديه ، فإذا هو ساعات من الذه هب مختلفة الأحجام والأشكال ، وأسورة من الذهب المرصع بالألماس ، إلى غير ذلك ألله الحلى والحواهر التي لم تقع عين «أوليقر» عليها قط قبل ذلك اليوم . وتقلب «أوليقر» في فراشه ، فاضطرب اليهودي اضطرابا شديداً ، وأعاد الجواهر إلى علبتها بسرعة البرق الحاطف ، ثم وضع العلبة في درجها السري من الحزانة ، وأمسك بسكين كبيرة ماضية الشفر آين ، واستعد الله فاع عن كنزه ، متوقعاً أن ينفتح عليه باب الغرفة ، ويدخل منه اللس المنامع في ثروته ، ولكنه أدرك في الحال أن ليس في الدار غريب مغتصب ، المنامع في ثروته ، ولكنه أدرك في الحال أن ليس في الدار غريب مغتصب ، فقال ها حانقاً مغضباً :

- « ماذا تريد ُ أيها الوَقح ؟ لماذا كنتَ ترقبتى ؟ ماذا رأيت ؟ أُحِب على الفور وإلا فقدتَ الحياة ! » .

فقال « أُولِيڤر » في دَعَمَة ورقمّة ، بعد أن نهض من فراشه :

« لم أستطع النوم أكثر مما نمت يا سيدى ، وعذراً إذا أنا أزعجتُك
 والقلت عليك ! »

666666666666 Y1 999999999999999



فأعاد اليهودي العجوز السكتين إلى موضعها ، واستعاد لهجته العادية ، وتظاهر أنه إنما كان يعسبَث بالسكين ليس إلا . . . فاقترب من « أوليڤر » وقال له :

( إنما أردت أن أخيفك يا عزيزى ، فإذا بك فتى شجاع يا " أوليڤر " ولكن قل لى: أرأيت شيئًا مما تحويه العلبة؟ » فقال « أوليڤر »:

- « نعم یا سیدی » .

فاصفر وجه اليهودي العجوز وصمت قليلاً ثم قال:

- « إنها ثروتى . . . إنها الثروة التي سأعتمد عليها عندما أطعن فى السن ، وأبلغ من الكبر عتياً . . . يتولون إنى شحيح بخيل ولكن مُكثرة " أخاك لا بَطَلَل » .

وسُمع عندئذ وَقَعُ أقدام على السلّم، وما هي إلا لحظات حتى دخل الغرفة الغلامان « جاك » و « شرلو » فدعاهما اليهودى العجوز لتناول طعام الإفطار، وقبل أن يجلس القادمان إلى المائدة قال لهما العجوز:

- « لعلَّكما ذهبهم إلى العمل وعُد تما منه بصيدتمين! » فقال «جاك» :

ــ « عدت بمحفظتين منتفختين بأوراق النقد وهاكهما » .

- « إنك بطل عظيم يا " جاك "، وأنت يا " شرلو " بماذا عدت ؟ » فقال و شرلو » :

. وأخرجها من المناديل الثمينة » . وأخرجها من جيو به .

66666666666666 Y. 333333333333333

- « نعماً أيها العاملالنشيط» . وأدار العجوز نظره إلى المناديل ثم قال :

- « إنها كلها مطرَّزَةٌ بأساء من كان يحملها . . . بجب نـَزْعُ تلك الأساء بإبرة رفيعة ، وسنعلتم " أوليڤر " كيف يقوم بهذا العمل » .

وجلسوا جميعًا يتناولون طعام الإفطار ، ولما فرغوا منه شهد « أوليڤر » اليهودي العجوز والغلامين يقومون معاً بحركات غريبة مضحكة ، فقد رأى العجوز يضع عُلَبَّة من علب لنفافات الدُّخان في أحد جيوب سر واله، ويضع محفظة في جيب آخر ، ثم رآه يضع في جيب صداره ساعة مر بوطة بسلسلة ، ولاتَسَلَ عن دهشة « أوليڤر » عندما شاهد العجوز قد اعتمد على عصًّا ، وأخذ يجول منسكّعاً في جوانب الغرفة ، كما يتسكع الناس الذين يمشون في الشُّـوارع ، ولا عمل لهم إلا الفرجة والتنزُّه ، فتارةً كان يقفُ أمام الموقد ، وتارة ً أخرى أمام الباب ، يجيل نظره فيه كأنه واجهة ُ حانوت من الحوانيت، وطوراً ثالثاً كان يتفقد جيو به كمن يخشى اللصوص والنشالين ، وكانت حركاته تلك من الغرابة بحيث أضحكت « أوليقر » وكاد يستلقى على قـكفاه من شدة الضَّحك . وكان الغلامان يتبعانه عن كَتُمَب، وكانا كلَّما التفت العجوز إلى الوراء تواريًا عن نظره بـخفَّة ورشاقة ، حتى تقدُّم أحد الغلامين منه، وداس َ على رجله ، في حين صدمه الآخر من الحلف ، وبأسرع من تردُّد الطرف كان العجوز قد فقد كل ما في جيوبه : من عُـلُمْبة الدُّخان والمحفظة والساعة ، حتى المنديل

وعلبة النظارة ، وكرَّر هؤلاء الثلاثة هذه المسرحية مَثَنْنَي وثُلاثَ ورُباع و أوليقر » تتنازعه من ذلك المنظر عوامل الضَّحيك والدَّهـَش .

وبيّننا هم على هذه الحال ، وفدت عليهم فتاتان في مقتبل العمر ، قدمي إحداهما « بتسي » والأخرى « نانسي » فأكلتا وشربتا ثم زودهما اليهودي العجوز ببعض المال ، فانصرفتا ومعهما الغلام « جاك » فالتفت العجوز إلى « أوليڤر » وقال له :

ــ « لقد ذهبوا يتنزَّ هون و يمرَّحُون » . فقال « أوليڤر » :

- « أَفَرَغُوا يا سيدى من عملهم فى هذا اليوم ؟ » فقال العجوز : - « أَجل . ولكن إذا عرض لهم فى أثناء مرحهم عمل جديد ، فلن يتوانو عن القيام به » . فلم يفهم الغلام المسكين شيئاً من هذه الأحاجى مم سمع العجوز يقول له :

- « تعال أعلم كيف تنزع الأسهاء من المناديل . . وخُدُ هذا الشلن جزاء مقد مًا على عملك . » فأذ عَن الغلام لأمر العجوز وانكب على عمله بهمة ونشاط ، ولم يخامره أى شك من الشكوك . . . وبنى « أوليڤر » عدة أيام لا يغادر المنزل ، أو لا يُسسمت له بمغادرة المنزل ، حتى ضاق صدره واشتاق إلى الحرية والفضاء الواسع ، وكان اليهودى العجوز قد عنهاد إليه في نزع الأسهاء من كمية كبيرة من المناديل ، لم يدر و أوليڤر » من أين تهبط عليهم ، وكان قد أشركه أيضًا في اللعبة

التي يلعبونها في صباح كل يوم ، فتوسّم فيه الخير ، وقَـدَرَهُ قَـدُرَهُ من الذكاء والمهارة .

وسمح العجوز ذات يوم للغلام « أوليڤر» بالخروج فى صحبة « جاك » و « شرلو » فسُرَّ سروراً لامزيد عليه ، وعلل النفس بأن يذهبا به إلى عمل يعمله وهو حرُّ طليق ، ويكسب منه رزقه الشريف .

وخرج «أوليڤر » من المنزل يحيط به « جاك » و « شراو » فسارا به من شارع إلى شارع ، ومن زقاق إلى زقاق ، وهو لايدرى إلى أين ينتهى بهم المطاف ، ولقد كاد «أوليڤر » يترك رفيقيه ، على ما به من شوق إلى الحرية ، والتمتع برؤية الناس والدكاكين والمنازل ، ويعود إلى المنزل فراراً عما يقومان به من أعمال دنيئة ، لاترضى بها النفس الشريفة ، فقد رآهما لا يمرآن ببائع ثمار ، أو دكان بدال ، إلا نشلا بعض الثار أو بعض الأطعمة وملآ بها جيوبهما . وبينها هو يفكر في أمره وأمرهما إذ سمع «جاك » يرقص طرباً في الشارع ويقول مخاطباً «أوليڤر » :

-- « أترى ذلك الرجل الواقف تجاه تلك المكتبة على الرصيف المقابل من الشارع ؟ » فقال « أوليڤر » :

- ــ « نعم أراه » . فقال « جاك » :
- « إننا سنداعبه مداعبة طيفة! » ، وعقب « شراو » :
  - « إنه صيد ثمين! » -

فلم يفهم « أوليڤر » من هذا الحديث شيئنًا، وقبل أن يستوضح رفيقيه الحديث شيئنًا، وقبل أن يستوضح رفيقيه

معنى كلامهما ، رآهما اجتازا عرض الشارع ، وذهبا يقفان وراء ذلك الرجل الذى أشارا إليه ، وكان قد تناول كتاباً من الكتب المعروضة فى واجهة المكتبة المكشوفة ، وشرع يطالعه بشعَف ومتعة ، فلحق « أوليڤر » برفيقيه حتى كاد يقترب منهما ، ولكنه وقف جامداً فى مكانه لايتريم منه ولايتحرك، ذلك أنه وقعت عينه على ما فعلا ، فاشمأزت نفسه أيسًما اشمئزاز.

رأى « جاك » يمد يده إلى جيب الرجل ، ويسحبُ منه حافظة نقوده ، ويرمى بها إلى « شراو » ثم يتوارى اللصان فى منعطف من المنعطفات ويطا سيقانهما للريح ، فانكشف فى تلك اللحظة لغلامنا المسكين مير تلك العلبة ، وما حوت من ساعات وخواتم وجواهر ، بل انجلى لعينيه سر الحياة التى يحياها ذلك اليهودى العجوز وأعوانه من الصبية والفتيات ، فوقف مسمراً فى موضعه ، وهو أشد ما يكون ذهولا وتقززاً واحتقاراً ، فأطلق هو أيضاً ساقيه للريح ، دون أن يعي ما يفعل ، وشاء القدر أن يتفقد الرجل محفظته فى تلك اللحظة فلا يجدها ، وأن يرى « أوليڤر » يجرى بمنتهى قوته ، فوثق بأنه السارق فجرى خلفه والكتاب فى يده وهو يصيح : « اللص . أدركوا اللص . اقبضوا على اللص » . فركض كل يصيح : « اللس . أدركوا اللص . اقبضوا على اللص » . فركض كل وأوليڤر » وقبضوا على الله حتى أدرك الراكضون من سمع نداء الاستغاثة ، وما هى إلا دقائق قليلة حتى أدرك الراكضون و أوليڤر » وقبضوا عليه .

ولتحيق الرجل ُ المجنى ُ عليه بجماعة الراكضين ، وأخذته الشفقة بذلك ،

الغلام البهى الطلّعة ، ه البرىء النظرات ، المرتجف من الحوف، فهم " أنْ يطرح عليه بعض الأسئلة ، ولكن شرطى الحي كان أسبق منه إليه ، فأمسك بتلابيب « أوليڤر » يريد أن يسوقه إلى مخفر الشرطة ، فتطلع إليه « أوليڤر » خاتفاً متوسلاً وقال :

- « لست أنا يا سيدى . . . إنهما غلامان آخران . . . صد قنى يا سيدى . . . لابد أن يكونا غير بعيدين من هنا » . فلم يتحفيل الشرطى بكلام « أوليڤر » البرىء ، وساقه إلى المخفر ، ومشى معه الرجل صاحب المحفظة المسروقة ، ومشى وراءهم نتَفَر من أصحاب الفضول ، فلما وصلوا إلى المخفر ، تلقاهم رئيس الشرطة وقال متسائلا " :

ــ « ماذا حدث ؟ » فقال الشرطى وهو يشير إلى « أوليڤر » :

ــ « نشَّال " صغير قبضت عليه يا سيدى الرئيس ! فقد نشل محفظة نقود هذا السيد » . فقال الرجل يخاطب رئيس الشرطة :

- « على أنى لا أقبطَع بأنه هو السارق يا سيدى الرئيس ، ولعله من المستحسن حفظ الموضوع حتى لا نظلم هذا الغلام إذا كان بريشًا ، وعوضى على الله عما فقدتُ من نقود » . فقال رئيس الشرطة :

ــ « لا بغرنتَك يا سيدى هذه البراءة والسذاجة التي يتظاهر بها هذا الغلام ، فالعدل يجب أن يجرى مجراه » . ثم أمر رئيس الشرطة بأن يُساق

الغلام إلى قاضى التحقيق ، وطلب من الرجل المجنى عليه أن يذهب هو أيضًا إلى قاضى التحقيق ليند لى بأقواله كشاهد في الحادث ، فمضى هؤلاء جميعاً إلى القاضى ، ووجه إليهم الأسئلة اللازمة ، ومال إلى كاتب الجلسة وطلب إليه أن يتعيد "نص حكم على الغلام بحبسه ثلاثة أشهر مع الشغل ، فأعند كاتب الجلسة الحكم المطلوب . وهم بالنطق به ، ولكن حال دون ذلك دخول رجل منهر ول إلى قاعة الجلسة وهو يصيح بأعلى صوته:

- « على رِسلكُم يا قوم ! فهذا الغلام ليس السارق ! »

فتطلَّع إليه قاضى التحقيق مدهوشًا من تدختُل هذا الغريب، فقطع عليه الرجل دهشته حين قال :

- « أنا صاحبُ المكتبة التي كان السيد واقفاً إلى واجهتها ، يقلب فيا أمامه من كتب ، فرأيت ثلاثة غلمان ، ومنهم هذا الغلام يتسكّعون على الرصيف المقابل لمكتبتى ، ثم رأيت اثنين منهم غير هذا الغلام يقتربان من السيد الذي كان مشغولاً بالقراءة ، وينشل واحد منهما محفظة نقوده ، ويرى بها إلى زمياه ، وبعد ذلك طار الغلامان وتواريا عن الأنظار ، ورأيت كذلك الدهشة التي ارتسمت على وجه هذا الغلام الذي قبضتم عليه » . فقال له القاضى :

« ولماذا تأخرت في المجبىء والإدلاء بأقوالك ؟ »

- « لم أجد وأحداً أكلِ وليه حراسة المكتبة ، فجميع الناس كانوا

قد جروا وراء السارق ، وحالما عثرتُ على أحد يقوم بتلك الحراسة ، هُرِعتُ إليك يا سيدى القاضي » .

وصمت القاضى برهة ثم نطق ببراءة الغلام ، فخرج الناس من قاعة الجلسة . وما كاد و أوليڤر ، يغادر القاعة إلى صَحن البناء ، حتى سقط مغشيًّا غليه ، فسارع إليه صاحب المحفظة المفقودة يتُقيلتُه من سقطته ، فرآه فاقد الوَعْي فطلبقليلاً من الماء ، فرشًّه به على وجهه حتى استفاق ولما تفرَّس الرجل في وجه و أوليڤر ، ملينًا قال في نفسه :

- ( رباً ه إن هذا الوجه غير عرب على ، فأين رأيتُه عبل اليوم؟ »

وبدأ الرجل يستعرض فى ذهنه وجوه من عرف ويعرف من الناس ، وله شيء من الشبه مع وجه الغلام ، فلم يتوصّل إلى العثور فى لوح خياله على الشبيه ، ثم ضيئّق حكلفة التشبيه ، وكاد يرى فى وجه الغلام وجه شخص كان فيا مضى حبيبًا إلى فؤاده ، ولكنه طرد هذه الفكرة من مخيئلته ، وعاد يعتنى بالغلام ، فأنهضه وحمله إلى مركبة من مركبات الأجرة، وسار به إلى منزله . وهناك أمر مدبيرة المنزل بإعداد سرير للغلام، فوضع فيه وراح فى غيبوبة من الحميّ .

مكث ( أوليقر ) مدّة أسبوع طريح الفيراش ، لا يعى شيئًا ممًّا حوله ، حتى إذا فارقته الحمَّى ودبًّ إليه وعَنيه شيئًا فشيئًا ، تساءل ذات صباح قائلاً :

وأين أنا ؟ ومن ذا الذي جاء بي إلى هذا المكان ؟ »

فسَمَّعَ صوتَ سيدة طاعنة في السن كانت جالسة قريبة منه تقول له:

- « لا تتكلم يا ولدى ولا تتحرك كثيراً ، فالمرض تد يعاودك . . . هذه وصية الطبيب الذى داواك . . . إنك هنا فى منزل السيد " براون " وهوبك شفيق رحيم . إنه الآن غائب عن المنزل ، وسوف يسره ، متى عاد ، أن يراك فى صحة جيدة » .

فشكرها « أوليڤر » كل الشكر ، وأطنب فى شكره وأسنهسَب حين المعتم بقدح من الشراب المنعش فشربه مسروراً .

وفى مساء ذلك اليوم جاءته بقصّعة مملوءة من الحساء السَّاخن اللذيذ، ولل جانبها إناء مملوء كذلك بذلك الحسّاء، فنظر « أوليڤر » إلى القصعة والإناء، وقد ر أن الحساء الذي فيهما يكني ثلاثمائة فقير من أمثاله، فشرب الحساء مريشًا، وأكل هنيشًا ممَّا كان مع الحساء من خضر ولحم الدَّجاج، هذا والمدبِّرة العجوز هانئة مسرورة بإقبال « أوليڤر» على الطعام مشهوة ورغبة، ثم رأته يحد ًق طويلاً إلى صورة زيتية كبيرة ، معلقة على المعاط فقالت له:

- و أتحب التصوير الزيتي يا عزيزي ؟ » فقال و أوليڤر » :

- د لست أدرى يا سيدتى ، فقلما رأيت مثل هذه الألواح فى حياتى ،غير أن وجه الفناة المرسومة فى هذا اللوح يبدولى أنه يـُشعُ بالجمال

666666666666 71 9999999999**99** 



٤

عاد « جاك » و « شراو » إلى منزل اليهوديِّ العجوز ، فلما رآهما اثنين لا ثالث لهما . احتدم غيظًا وصاح فيهما قائلاً :

۔ « أين " أوليڤر " » ؟

فجرَزِع الغلامان من منظر ذلك الوحش الجاحظ العينين ، والتُدَزِما الصمت ، فانقض اليهودي العجوز على « جاك » وأمسك بتلابيبه وقال : 
- « ماذا جرى له ؟» فقال « جاك » وقد استرد بعض وقاحته وشجاعته : 
- « لقد وقع في الفخ . . . ولكن هلا تركتني أتنفس ؟! » .

**فلموّى** صوت العجوز هائجاً مزمجراً وهو يقول :

- « أيُّها الشي . . . »

666666666666 11 99999999999999

والحنان، فهل تشبه أحداً في أسرة هذه الدار ياسيدتي؟» فقالت المدبرة العجوز: ... « لا يا عزيزي » . فقال « أوليڤر » :

« إن عينيها تفصحان عن الكآبة، ويخسَيَّلُ إلى أنها تحدِّق إلى وتريد أن تكلمني » . فقالت المدبِّرة :

- « لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته يا ولدى . . . »

وفي هذه اللحظة دخل السيد « براون » واقترب من سرير « أوليڤر » مستفسراً عن صحته فقال له « أوليڤر » :

- « أرجو ألا تكون مستاءً منى يا سيدى! » فضحك السيد « براون » ولاحت منه التفاتة إلى صورة الفتاة المعلقة على الحائط ثم وزع نظراته بينها وبين « أوليشر » فقال يخاطب مدبدًرة المنزل :

- « يا لله من هذا الشَّبه الغريب ! . . . » ثم انصرف مسرعاً فقد حرَّ كت الصورة في نفسه لواعج الشُّجون .



&&&&&&&&&&& 1. DDDDDDDDDDDDDDD

وقبل أن يتم كلمته، فُتحَ باب الغرفة وسُمع صوتٌ جَهَ وَرَى يَقول: - « ما هذا الرَّعْد القاصف في هذه الغرفة ؟! »

وكان المتكلم الداخل على هؤلاء الناس ، رجلاً في عُنْـُفوان الرجولة ، يبلغ الخامسة والثلاثين من العمر ، ويدل مظهره على الحُبُث والإثم والإجرام ، فقال له اليهودي العجوز وهو يرتجف :

ــ وختفتض من صوتك يا "سيك" وانتظر نايخبرك "جاك" بما حدث». فروى و جاك » على طريقته قصّة « أوليڤر » وقصة القبض عليه ، ، فقال اليهوديّ العجوز :

- ﴿ وَأَخَسْنَى مَا أَخَشَاهُ أَنْ يَكَشَفَ أَمْرَنَا ، ويثير لنا المشاكل ! » فقال ﴿ سيك ﴾ في ابتسامة خبيثة ِ :

\_ ر قد يكون ذلك ... ها أنَّت ذا قد بدأت تعلق ُ بالشرك يا عزيزى " فاجن " ، فقال العجوز :

- وإن وقوعى فى الشرك قد يجرّك إليه يا عزيزى " سيك " ، فلو عُرنتُ جرائمك لما كان مصيرك إلا السجن المؤبد أو حبل المِشنقة ، .

فتطاير الشرر من عيني « سيك » ، وخيسًم الصّمت على المجتمعين بضع دقائق ، فقطع « سيك » حبل ذلك الصّمت وقال :

« يهمسّنا أن نعرف أولا ماذا حدث فى مخفر الشرطة ، وأين الغلام الآن » .

666666666666 11 9999999999999

فأمّن اليهودى العجوز على هذا الرأى ، وأخذ يفكّر فيمن يقوم بهذه المهمة ، فتبسّم لما رأى باب الغرفة يفتح وتلخل منه الفتاتان اللتان كان ( أوليڤر » قد رآهما فى ذلك الوكر ، فبعد الوعد والوعيد رضيت الفتاة و نانسى » أن تقوم بتلك المهمة ، فرفد ها اليهودى العجوز ببعض المال على سبيل المكافأة فحييّت الحضور وغابت ساعة أو ساعتين ، ورجعت تخبرهم بتفاصيل ما جرى للغلام ( أوليڤر » ، وكيف خرج من مخفر الشرطة وهو معمى عليه ، يحمله صاحب المحفظة ، وليس من يعلم أين الشرطة وهو معمى عليه ، يحمله صاحب المحفظة ، وليس من يعلم أين يقطن هذا الرجل .

فطار صواب اليهودى العجوز ، وقام يوزَّع بعض المالى على أفراد عصابته ، وطلب إليهم أن ينصرفوا جميعاً ، ويجدُّوا في البحث عن الغلام و أوليڤر » ، وأوصاهم أن يذهبوا به عندما يجدونه إلى المسكن الثانى ، أما هو فسيكون في الحانة التي تعود أن يتردد عليها ، فإن اتفق أن كانوا في حاجة إليه فليقصدوه في تلك الحانة .

انقضى ذلك اليوم على غير طائل ، فما استطاع أحد من أفراه المصابة أن يعرف مقر الغلام و أوليقر ، وانقضت بعد ذلك أيام كثيرة في أجدى البحث عن الغلام فستيلاً ، حتى جاءت الفتاة و نانسي ، ذات مساء ، وأنهت إلى رفقائها بالنبأ العظيم الذى وقفت عليه ، فقد عرفت منزل الرجل الذى سرق و جاك ، محفظته ، وعرفت اسمه فهو يدعى و براون » ،

**666666666666 11 999499999999** 

وعلمت كذلك أن « أوليقر » مقيم في منزل الرجل ، وأنه قضى نحواً من أسبوع طريح الفراش يعانى سككرات الحملى ، وأنه الآن قد تماثل المشفاء ، فهو هاني سعيد في ضيافة السيد « براون » يجول في أنحاء المنزل ويتنز و أحياناً في الحديقة ، وتُعننى به مدبرة المنزل عناية فاثقة ، وتوفر له أشهى ألوان الغذاء ، وتكسوه بأجود الملابس .

فرحَ اليهوديّ العجوز لدى سَهاعه هذه الأنباء ، فمن السَّهل الآن وقد عرفوا مقرّ الغلام ، أن يتصيَّدوا الفرص لاختطافه ، والعَوَّدة به إلى وكُرهم القَّدَ ر .

و بحثت العصابة في أمر خطف الغلام ، فعهدت فيه إلى الفتاة « نانسي » وطلبت إلى « سيك » أن يساعدها في هذه المهمة ، فأذ عن كل منهما للأمر ، واتنفقا معنا على تدبير الجلطنة المحكمة في هذا السبيل، وأوصاهما اليهودي العجوز بأن يذهبا بالغلام إلى المنزل الثاني . فسوف يتخذه هو والعصابة مساءة له حتى يجدا الغلام ، وسوف يوزع وقته بين ذلك المنزل والحانة التي ينو شرها على غيرها من الحانات .

ومنذ صباح اليوم التالى ، بدأت الفتاة « نانسى » والفتى « سيك » يدُوران حول منزل السيد « براون » ، وحول الحديقة المحيطة به ، لعلهما يريان الغلام فى ساعة من الساعات وحيداً فى الحديقة ، فيصيداه صيد السماك ، ويطيرا به إلى منزل اليهوديّ العجوز .

66666666666666 11 9999999999999

وقضى المتربِّ مان عدّة أيام فى اللف والدوران حول مسكن السيد «براون » ، فما وقعت أعْيسُنهما على ضالتهما المنشودة فى أرجاء الحديقة إلا مصحوبنا بسيد المنزل أو بالسيدة مدبِّرته ، فحال وجود أحدهما مع الغلام دون تنفيذ خطة الحطف تنفيذاً سهلاً هيّنناً بغير جلبة ولا ضوضاء . وكان «سيك » قد صحب معه فى هذه المهمة كلبه المحبوب ، وهو كلب ضمخم الحشة ، قبيح المنظر ، متحفز لوثوب عند أول إشارة يشير بها سيسده ، فكان «سيك » يداري ما يسساوره من السام والملل ، بمداعبة كلبه حيناً بعد حين .

وطالت أيام الترقب والانتظار ، حتى كاد اليأس يدب إلى قلب هذين الأثيمين ، وحتى كادا يرجعان من مهمتهما بخفي حُنسَيْن ، فحد ث عن دهشتهما وفرحهما ولا حرَج ، حيما شاهدا الغلام في أصيل أحد الأيام يخرج من المنزل متأبطاً عدداً من الكُتُبُ ، ويركض ما وسيعه الرّكض ، متوجّها إلى الشارع العمومي، فتفاهما بالإشارة على أن يتركاه قليلا حتى يبتعد عن المنزل ثم ينقضاً عليه، فاحيقا به من بعيد دون أن يفقدا أثره ، وهما يسائلان النّفس: ما شأن الغلام ؟ وعلام يركض هذا الرّكض ؟ وعلام يركض ألله الرّكض ؟ وإلى أين يجرى بتلك الكتب التي تأبطها ؟

وجلية الأمر أن السيد « براون » كان يراجع بعض الكتب في مكتبته بالمنزل ، فرأى أن يتُعيد قيسماً منها إلى صاحب المكتبة التي كان واقفاً

إذاء واجهتها، يقلب أسفارها يوم سرقت منه محفظة نقوده، وأن يستبدل بها غيرها ، فلما وقف « أوليفر » على رغبة المحسن إليه ، أراد أن يوفر عليه عناء الذه هاب إلى المكتبة ، فطلب إليه أن يكلفه أداء تلك الرسالة ، ووعده أن يعود من قضاء مهمته أعنجل ما يكون ، فقبيل السيد «براون» عرض الغلام بعد ترد د غير قصير ، ولعله شاء أن يمكن « أوليفر » من استنشاق نسيم المدينة ، بعد إذ طال مكشه في البيت مريضاً وناقيهاً .

وعلى هذا رأينا « أوليڤر » الكريم الخُلُتُق ، الطيبَ القلب ، الرقيقَ الشُّعور ، يُغادر دار السيد « براون » راكضًا إلى غايته ، وهو سعيد " بأن يخدم الرجل الذي رعاه وآواه وعطف عليه ، ولكن " القدر القاسي كان له بالمرصاد ، فلم يد ر أيئة مصيبة تنتظره بعد خروجه من بيت كافيله وراعية .

كان هم « أوليفر » أن يمضى إلى صاحب المكتبة، ويستبدل بالكتب التي تأبيطها الكتب التي يرغب السيد « براون » في الحصول عليها ، ويعود سريعًا إلى الرجل الحنون الكريم بما طلب وابتغى ، غير أن تلهيّفة إلى الإسراع ، جمّعلمة يخلط بين بعض الأزقة والدوروب . فعندما اجتاز الشارع الكبير ، وأراد أن ينعطف منه إلى الطريق المؤدى إلى المكتبة التي يقصدها ، حمّد ته العجلة إلى أن يسلك طريقاً آخر ، أفضى به إلى أزقة ضيقة اكتظّت فيها المنازل الحقيرة ، فدهش وتعجب ، وأدورك

أنه ضلّ الطريق ، فهم بأن يعود على أعقابه بحثاً عن الطريق الصّحيح، ولكن سُرْعان ما شَعَرَ بذراعين تطوّقانه ، وصوت ناعم يقول له :

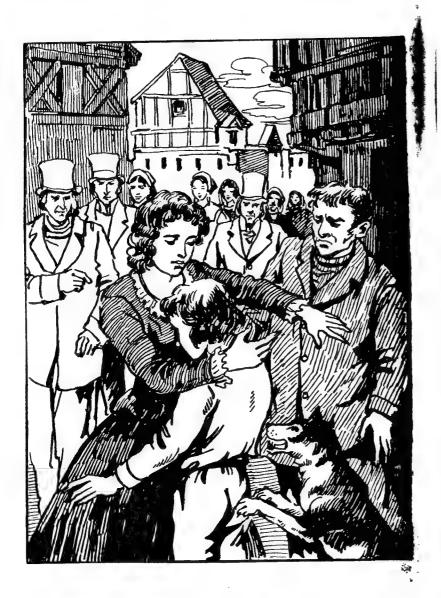
- « أخى الحبيب! آه يا أخى الحبيب! لقِدْ عَبْرَتُ عَلَيْكَ بَعْدُ طُولِ اللَّهِ عَبْرَتُ عَلَيْكَ بَعْدُ طُولِ اللَّهِ عَلَى فَرَاقَكَ . . . تَعَالَ مَعَى يَا أَخَى الحَبِيبِ إِنْ أُمَّنَا سَيُقَيِمُهَا اللَّهُ وَيُقَعِدُهَا بِلْقَائِكِ! »

سمع «أوليڤر » هذا الحديث فما فمهم منه شيئًا ، فأية أم هجرها وتركها بعده حزينة القلب دامعة العين ؟ فاستُتدار بعد جهد ومشقة ليعرف من هذه الفتاة التي تطوقه بذراعيها ، وتحسب أنه أخوها ، فوقع بصره على الفتاة « نانسي » وكانت قد لحقت به إلى ذلك الزقاق الضيق ، بعدما تعقبَّبَته منذ خروجه من منزل السيد « براون » ، فاضطرب اضطراباً شديداً ، وحاول أن يتمليَّص منها وهو يقول :

ــ « دعینی یا " نانسی " أذهب لشأنی ، فإنی مكلتَّف قضاء مهمة عاجلة! » فقالت له وهی تصبح بأعلی صوتها:

لا . لا أتركك ! إن أمنّنا ستموتُ حزناً على بيعادك ! ولكن ما هذه الكتبُ التي تحملُها ؟ ومن أين سَرَقْتنَها ؟ . . . »

وقبل أن يجيبها «أوليڤر» عن أسئلتها ، اصطَكَّتُ رَكبتاه فَـزَعَّا ورُعْسَاً عند رؤيته الفتي « سيك » وكلبه المتوحش وهو يحاول أن ينقض عليه



ويمزّق ثيابه ، فأخذ يصيح خائفاً ، ويبكى بكاءً مرًّا . وكان نفرٌ من السِّفْلة والرَّعاع ،قد تجمعوا حول هؤلاء الثلاثة ، فازدادت « نانسى » صياحاً وهي تقول :

- « ساعدونی یاقوم علی هذا الولد ِ الطائش . . . إنه أخى ولكنه شرِّير آبق . . . » ثم أشارت إلى « سديك » قائلة :

- « وهذا أخونا الأكبر ، سلُّوه يجبُّكم عن موبقات هذا الأرْعَن اللَّهِين ! » وكأنما ثارت الحمية في نضس « سيك » ، فأقبل على الغلام يصفعه وهو يقول له :

- « إلى المنزل أيتُها الأحمق ، وإلا أدَّ بتُكَ شرَّ تأديب » .

وصد قل الرَّعاع المتجمعون تلك الرّواية، فعد وها مهزلة عائلية، دون أن يعلموا ما تنطوى عليه من مأساة عانصرفوا بعد قليل إلى شؤونهم وهم يقولون فيما بينهم وبين أنفسهم:

— « ماذا على الأخ ِ الأكبر لوأدَّب أخاه الأصغر! »

وأَقَّهُمَ الطريق من السابلة والمارّة ، فأيقن « أُوليڤر » من سوء المصير ، ووثق َ بأن ْ لا فائدة تُرْجَى من الصراخ والاستغاثة ، فاستسلم لمشيئة ِ الأقدار ، وسمع « سيك » يقول له مهدداً :

ــ فَعَ ْ يَدَكُ فَى يد "نانسى "وسِر مُعَها إلى حيثُ تقودُكُ وسأتُ بعكما عن كَشَب، فإن حاولتَ الهرب أو التَّفُو هُ بكلمة ، أطلقت عليك كلبي

6666666666666 11 2222222222222

الضخم فرزّقك تمزيقاً . . . أسمعت أينها الوقع ؟ » فأذ عن « أوليفر » المسكين اليائس لأوامر ذلك الرجل الغليظ الكبيد ، ومداً يده اليسسرى إلى « نانسى » فأمسكت بها ، وسارت به فى صمت وسكون ، فما زالت تلك القافلة تسير من طريق قمد ر إلى طريق أقند ر ، ومن زقاق ضيق إلى زقاق أضيت ، وحتى وصلت بعد نصف ساعة إلى من ل متهد م يبدو على مظهره أنه خال من السكان ، فطرق « سيك » الباب ثلاث طرقات ، فانفتح على الفور ، وتقدم « سيك » إلى الدهليز وهو يصيح :

\_ « تحية وسلام » .

وماهى إلا ثَوان معدودات حتى برز الغلام « جاك » فى الدَّهليز وبيده مصباحٌ خافتُ الضَّوء ، فأنار السَّبيل للقادمين ، فوصلوا بعد قليل الى غرفة فسيحة ، فهب إلى لقائهم اليهوديّ العجوز والغلام « شرلو» . فرحَّبَ أهلُ البيت بهم ترحيباً جميلا ، وكان اليهوديّ العجوزيفرك يديه تارةً ، ويداعب لحيته تارةً أخرى وهو فرَرحٌ بمقدم « أوليڤر» .

وبدأت النكات والدعابات الثقيلة تنهال على «أوليڤر» وهو صامت ذاهل ، يندب في نفسه حظه الأنكد الذي عاد فرماه في مخالب أولئك الوحوش ، وكان أكثر ما يحز في صدره حكم السيد « براون » عليه ، عندما يترقب عودته فلا يراه ، فدوف يرميه ولا شك بالخيانة والاحتيال .

كان « أوليڤر » يفكّر مثل هذا التفكير النبيل حين أخذ الغلامان

**6**666666666666 • 9999999999999

الخاجاك » و « شرلو » يزعجانه بأقوالهما الغليظة ، فمن قائل له وهو يتحسس العليسة :

- « ويحلَك ! أنتَّى لك هذه البذلة الجميلة؟! » ومن هازئ به وهو يشير إلى الكتب التي يتأبَّطها ويقول :

- « لقد أصبح صاحبنا عالمًا من العلماء! هيمًا حد ثنا عن محتوى منه الكتب ، اللهم إلا أن تكون قد سرقتها ، فلن تَفقّه فيها شيئًا! هاتها أيها اللص فما شأنك أنت والكتب ؟! »

وهجم عليه وجرَّده من تلك الكتب ، فارتمى « أوليڤر » عند قدمى اليهوديّ العجوز وقال له متوسلًلاً :

- « ياسيدى ! إن هذه الكتب ملك السيد الكريم النبيل الذى آوانى وداوانى ، وأطعمنى وكسانى ، فبالله عليك إلا رَجَعْتها إليه حتى لا يظن بى الظنَّنون ! »

وقسَهُ قَدَ العجوز ضاحكاً ساخراً ، وضحك معه « سيك » والغلامان ، وقدمت فى تلك الأثناء الفتاة « بتسى » من الحارج دون أن تشعر أحداً بقدومها لكى يضىء لها الدهليز ، فقد كانت متعودة السير فى الظلام ، فالتفت الحاضرون إليها وسها عليها أن تُقفل باب الغرفة ، فاغتنمها وأوليقر » فرصة " ثمينة وطار إلى الباب ، وخرج منه وهو يصيح :

\_ «المعونة! المعونة! أدركوني ياناس! أغيثوني من هؤلاء الشَّياطين! »

**6**66666666666 10 33333333333333333

وجرى اليهودى العجوز والغلامان وراء « أوليڤر »وهمم « سيك » بأن يُطْلُق كلبه وراء الهارب ، فحالت الفتاة « نانسي » دون ذلك ، ووقفت بينه وبين الكلب وهي تقول :

ـ « لا . لن يخرج الكلبُ من هنا ! حرام عليكم تعذيب هذا الغلام المسكين ! »

فانقض " سيك » عليها ودفعها عن الباب دفعة " قويدة " رمتها فى زاوية من زوايا الغرفة ، فنهضت تريد أن تثأرلنفسها من « سيك » ، ولكن " الباب فتح فى تلك اللحظة ، ودخل منه البهودي العجوز والغلامان ، وهم يدفعون أمامهم « أوليقر » ، فنظرت إليه « نانسى » فرأته شاحب الوجه مرتجف الأوصال ، فاستيقظ فيها الضمير الحي ، وندمت أشد الندم على الجريمة التي ارتكبتها في إعادة « أوليڤر » إلى هذه البؤرة من الفساد واللصوصية .

ولقد كادت تفقد وعنيها عندما رأت اليهوديّ العجوز قد تخليّ قليلاً عن « أوليڤر » ، ومضى إلى بعض الزوايا وعاد منها بعصاً غليظة ، وأهوى بها على « أوليڤر » وهو يقول له :

ـــ « أكنت تريد ُ الهرمِ فتجمع علينا رجال الشرطة والجيران أيسُّها الحقير ؟! »

فتفادى المسكينُ الضَّربة حينها هجمن « نانسى » على اليهودى العجوز الضَّربة حينها هجمن « نانسى » على اليهودى العجوز الضَّربة حينها هجمن « نانسى » على اليهودى العجوز الضَّربة حينها هجمن « نانسى » على اليهودى العجوز

كاللَّبَوْة فقدتُ أشبالها ، فجرَّدته من عصاه ، ورمتها في المؤقد فاشتعلت بها النار . وتحفَّز «سيك » ليؤدِّب الفتاة «نانسي » فوقفه اليهوديّ العجوز قال :

- « دَعَمْها فسوف يعودُ إليها رُشَدها، وينقذها من ثورة نفسها ومن صوت الفضيلة التي تهتفُ بها » .

وأشار العجوزُ إلى الغلام « جاك » أن يقود « أوليڤر » إلى بعض الغرف المظلمة في المنزل ، ويُقْفيل عليه الباب ففعل، ورأى « أوليڤر » فيها فراشاً مُعدداً، فانطرح عليه وهو مُتنْعب مُشْقَل من الغمَّ والإعياء ، فأخذته سينهَ الكرى ، فنام نوماً عميقاً .





انتظر السيلة « براون » على أحر من الجمر رجوع « أوليڤر » من المهملة التي وكلها إليه ، واكن طال انتظاره دون جد وى ، ومرت الساعة تيلو الساعة حتى انتصف الليل ، فأوى إلى فراشه وهو قلو " نادم " على أن سمح للغلام بالخروج وحده إلى شوارع المدينة في مثل تلك الساعة التي خرج فيها .

6666666666666 1 222292929293

الحبيب ، فخاب فألهما غير مرة ، وطوّيا قلبيهما على المراوة والأسى .

وانقضى أسبوع على غياب « أوليڤر » فقطعا عندئذ كل أمل فى رجوعه ، وساورت نفس السيد «براون » الوساوس ، فنشر فى إحدى الصحف إعلاناً يمنح فيه خمسة جنيهات لمن يدله على أخبار غلام فى نحو العاشرة من عمره ، يدعى « أوليڤر تويست » غاب عن منزله منذ أسبوع ، ثم ضمان الإعلان وصفاً ضافياً لصفات الغلام الجسمانية ،

وفى صباح اليوم التالى الذى نشر فيه الإعلان كانت إحدى مركبات السفر العامة قد وصلت إلى باب من أبواب لندن ، فتوققت قليلاً للاستراحة ونزل منها بعض الرُّكاب يتمشون قليلاً بعد طول الجلوس ، وكان بينهم السيد « بمبل » موظف الملجأ الذى عرفناه فى مُستَهَالً هذه القصة ، فر به أحد واعة الجرائد، فاشترى منه صحيفة من صُحف الصباح ، وشرع يطالعها ، فاستوقفه الإعلان المنشور عن « أوليقر » فقرأه متشي وثلاث وعدم إلى نظارته فسحها مرة بعد أخرى وركزها على عينيه تركيزاً محكماً ، وأعاد قواءة الإعلان، ودقق طويلاً فى الأوصاف المنشورة عن الغلام ، فو ثيق كل الوثوق بأن « أوليقر » هذا هو « أوليقر » الذى يعرفه . فلمنا وصلت المركبة إلى وسط المدينة ، عدل عن الذهاب إلى المكان الذى كان يقصده فيها لقضاء بعض الشؤون ، وتوجه تواً إلى منزل السيد « براون » فسارع هذا إلى المتباله ، ولحقت به مدبرة المذرل عندما علما أن المقبل عليهما إنما جاء

666666666666 oo 33333333333333

حديثه قائلاً :

- « ولد "أوليڤر" في ملجاً البر والإحسان ، وأنا الذي أطلقت عليه اسم " أوليڤر تويست" ثم عهدنا فيه إلى دار رعاية الطفل حتى بلغ التاسعة من عمره ، وكان فظ الأخلاق ، بليداً كسولا " نهيما ، لايتورع عن الاعتداء على الأطفال من زملائه اليتامى ، فاستعاده الملجأ واستودعه أحد الصناع الكرماء لبلقنه مهنة يكسب بها رزقه ، فتشاجر ذات يوم مع عامل من عمال ذلك الصانع الذي آواه وأطعمه ، فكاد يقتله ، ثم هرب تحت جنه الظلام خوفاً من طائلة العقاب ، وانقطعت أخباره عنا » .

وكأنما اكتنى السيد «براون» بما سمع فنقد الرجل الجنيهات الخمسة التي وعد بها في الإعلان فقبضها « بمبل » واستأذن في الانصراف ، فودعه السيد « براون » حتى باب الحديقة .

أمناً « أوليڤر » الذي دار الحديثُ عليه ، فكان في ذلك الصباح جالسا إلى الغلامين « جاك » و « شرلو » وهما يُغْرِيانه بالإذعان لمشيئة الميهوديّ العجوز ، والانخراط في سلك عصابته ، حتى تصلّم حالله ، ويتوافر المال في جيبه ، ويعيش عيش العز والستّعة ، وإلا بتى طول حياته فقيراً ذليلاً متسولاً ، وشاء « جاك » أن يمْعن في إغرائه فطفق يتذرعُ الغرفة ، ويدُه اليمني في جيبه تعبّتُ بما فيه من نقود ، فنظر إليه وأوليڤر » نظرة المشمئز وقال :

بحدثهما عن الغلام «أوليڤر».

تبادل القوم تحيية الصباح في عجلة وليه فق ، ثم استهل السيد (براون » الحديث فقال :

- « قلتَ ياسيدى إنك جئت تحدثنى عن الغلام " أوليڤر " بعد إذْ قرأتَ الإعلان الذي نشرته عنه ! » فقال « بمبل » :

- « نعم ياسيدى ! » فقال السيد « براون » :

« أين هو ؟ » فقال « بمبل » :

( لستُ أعلم مقرّه ، ولكننى أستطيع أن أزَوّدك عنه بأنباء وأخبار
 لا يعرفها غيرى » .

فتململ السيد «براون» وتململت معه مدبدة المنزل ، وقد كانا يطمعان أن يعرفا مقر الغلام ، فيذهبا إليه ويعودا به إلى كَننَفهما ، غير أن السيد تذرّع بالصبر وقال :

- « هاتِ ماتعرف عنه ياسيدى » . فقال « بمبل » وقد اعتدل في جيلسته بعدمًا رشف آخر جرعة من فنجان القهوة والحليب :

- « " أوليڤر"هذا غلام ً يتيم مجهول الوالدين ، وأغلب الظن آن والد يه ينتميان إلى أسرة فقيرة لاتفييم للفضيلة والأخلاق وزناً من الأوزان ، فهي من بيئة يعيش فيها الشر والفساد والرذيلة » . فغشيت أعين السيد « براون » ومدبرة المنزل غشاوة من الحزن والاستغراب ، فاستأنف «بمبل »

6666666666666 ov 999999999999999

« أَتَفْخُرُ بَمَالُ جَاءَكُ عَنْ طَرِيقَ السَّلَسْ وَالسَّرِقَةَ ؟ ! » فقال
 « جاك » وقد أشعل لفافَّةً من التبغ :

- « لولم أكن حقيقاً به لما جاءنى . . . وعلام يشقى الإنسانُ ويتعب إذا هو استطاع أن يحصل على المال عن طريق هيـن سهـُـل ؟! » فقال « أوليڤر » :

## - « ولكنه مال " حرام ! »

فقهقه « جاك » و « شرلو » معاً من سذاجة « أوليقر » وسلامة طويته » ودخل عليهما اليهودى العجوز وهمايضحكان ، فأنهيا إليه بحديثهما وحديث « أوليقر » فأمن على كلامهما ، وأخذ يقص على الغلمان أنباء بطولته في أيناً م الحداثة والشباب ، وكيف كان يتفنن في النتشل والسرقة حتى جمع ثروته . وكان هذا العجوز منذ صباح الليلة التي أعيد فيها « أوليقر » إلى وكر اللصوص قد أخذ يتلطف في حديثه مع « أوليقر » ويغمره بعطفه ورعايته ، ويقد م له أطايب ألوان الطعام ، ويسرد على مسمعه العظة تيلو العظة في عاسن السرقة ، وما تجلبه على السارق من رفاهة العيش ورعيته ، ولكن « أوليقر » كان يعيره أذنا صماء ، ويترقب اليوم الذي ورغيده ، ولكن « أوليقر » كان يعيره أذنا صماء ، ويترقب اليوم الذي يستطيع فيه أن يهرب من ذلك الجحيم ، ولكن هيهات ! فقد كانت الحراسة شديدة عليه حتى لو أراد أن يمكر بالعجوز ، ويتظاهر بقبهول عبر ضه وإغرائه .

**66**6666666666 •A **3333**33333333

وعاد اليهودي العجوز إلى محادثة « أوليڤر » ثم أمر الغلامين « جاك » و « شراو » بالخروج إلى عملهما، ووعدهما بالجزاء الأسنى لو أتياه بعدد من السّاعات الذهبيّة والحواتم ، فخرجا هانئين سعيدين ، فاما انفرد بالغلام « أوليڤر » قال له :

- « لَتَشُصْبِحَنَ ۚ رَجَلاً عَظَيماً لُو شَمَعَتَ نَصَحَى وَعَمَلَتَ بَإِرَشَادَى! » فقال له « أُولِيڤر » متوسلاً :

- « ناشدتك الله ياسيدى إلا تركثتنى وشأنى وأطلقت سراحى ! إن نفسى لا تطاوعنى على النبَّشْل والسَّرقة ولو شئتُ أن أقهرها عليهما ما استطعتُ ، فهذا عمل لا أجيده ولو تتَميرَّنْتُ عليه العمرَ كلَّه ! » فضحك العجوزحتى بانت نواجذُه وقال :

- « أنصحك بأن تكون رهن َ إشارة الفتى " سيك " وأطنوع له من
 بنانيه ، فهوكفيل " بأن يدر بك خير تدريب » .

وكاد ؛ أوليڤر » يعرب عن خوفه من « سيك » ورأيه الصريح فيه ، لولا أن دخل « سيك » عليهما فجأة ، فحياً هما تحية مُسِنْدَسَرة ، فردً العجوزعلى تحيلته بمثلها وقال يخاطب « أوليڤر » :

- ( اتركنا وحدنا قليلاً ياولدى ، واقتض بعض الوقت في الغرفة الملاصقة ، ولا تطمع في الهرب فأنت تعلم أن ليس لها من منفذ غير هذا الباب الذي تراه في أقصى هذه الغرفة » .

**€**€€€€€€€€€€€€ •1 ∂∂∂∂∂∂∂∂∂∂∂∂∂∂∂∂

إياه ، فتسوقه إليك دون أن يعلم من الأمرشيئا ، وليس غير الفتاة "نانسي " من يستطيع أن يصحبَه إليك ، فقد وثق بها الغلام ومال إليها ، بعد تلك الليلة التي دافعت فيها عنه وناصرَته » . فقال « سيك » :

· · · - « ومَن ° يُقَنْع ° نانسي ° بالقيام بهذا العمل وبالسكوت عن أمرنا المبيَّت ؟ » فقال العجوز:

- « أنت . . . إن " نانسي " تحبيّك وتخشاك ، فاستعمل التهديد والوعيد . . . وعليك ثانياً أن تكتم عن الغلام الغاية من اصطحابه معك إلى هدفك ، حتى تصلوا جميعاً إلى المنزل المقصود ، ثم عليك ثالثاً أن تتوعده طول الوقت فيكون لك سامعاً مطيعاً » .

وفى مساء ذلك اليوم أقبلت « نانسى » إلى منزل اليهودي العجوز ، فحيته وحيت « أوليڤر » وقالت له :

- « هيّا بنا يا عزيزى ! جئت أصحبك إلى مكان جميل أمين » .

ففرح « أوليڤر » واعتقد أن ساعة خلاصه من ذلك السّجن قد
حانت ، فلمناً صار هو والفتاة خارج الدار ، رأى مركبة ,تنتظرهما ،

فركباها وهو مستغرب مدّ هوش ، وسار بهما الحوذيّ دون أن يسألهما عن

ألمكان الذي يقصدانه ، فتطلع « أوليڤر » إلى « نانسي » متسائلاً :

- ﴿ إِلَىٰ أَينِ يَا " نَانَسِي " ؟ ﴾ فقالت له بصوت عال :

- « إلى مكان أمينٍ جميلٍ يا " أوليڤر "» . ثم همست في أذنه قائلة :

6666666666666 11 9999999999999

فامتثل « أوليڤر » لأمرِ العجوز ، فلما خلا الجو للأثيمين قال العجوز :

- « متى قرّرت الهجوم على المنزل الذى طلبت إليك أن تسرقه ؟ » فقال « سيك » :

ــ « في ليل ٍ غد » . فقال العجوز :

- « سأرسل معك " أوليڤر " وسيكون لك عوناً ثميناً ، فأنا أعرف ذلك المنزل كل المعرفة ، فحسبك أن ترفع " أوليڤر " إلى الكُوَّة الصغيرة ، فينفذ منها إلى داخل المنزل ويفتح لك الباب فتدخل منه أنت وصاحباك اللذان اخترتهما » فقال « سيك » :

- « لستُ أدرى لماذا تُصِرُّ على ضَمَّ هذا الغلام إلينا ، مع هوعليه من عيناد ومُكابرة ، فلو هرب مننَّا مرَّةً أخرى لم نأمنَ من أن يشى بنا ويكشفَ أمرنا . » فقال اليهوديّ العجوز ضاحكيًا :

- « أنتَ يا "سيك" تعوزك الفراسة و إن لم تُعُوزك الجرأة ُ والوقاحة . . إن هذا الغلام على جانب كبير من الذَّكاء ، فلو انضم َ إلينا راضياً مختاراً كان لنا منه سَنَد " أيُّ سنَد . . . . أفهمت ؟ » فقال « سيك » :

-- « وكيف السّبيل إلى اصطحابه معنا وهو نافرٌ منا ومن عملنا ؟ » فقال العجوز:

- « عليك أوّلا ً أن تبعث " نانسي " إلى ً في هذا المساء ، فأسلّمها



- « لقد أكر هت على المجيء إليك واصطحابك . . . انظر إلى مع صَمَى وعنى تسَجد آثار الضّر بفيها . . . إن حياتك وحياتى فى خطر لوسمع هذا الحوذى حديثى معك . . . فاصبر ولا تيأس من رحمة الله ، فلعل ساعة خلاصك من أيدى هذه الطّغمة الشريرة قريبة عبر بعيدة ».

والتزمت « نانسى » والغلام الصَّمْتَ بعد ذلك ، وجرت بهما المركبة في أزقَة حقيرة حتى وصلت إلى منزل زرى في أحد الأزقة فوقفت عنده ، فترجلت « نانسى » وهي ممسكة بيد « أوليڤر » ودخلت المنزل فإذا «سيك » واقف ينتظرهما ، وهو مقطب الحاجبين ، عابس الوجه ، فابتدر يخاطب « أوليڤر » قائلا ً:

- « لماذا تأخرت أينها الغلام البليد ؟ » فقال « أوليڤر » خائفاً : - « لم نتأخر ياسيدى فشُقة الطريق واسعة ، ولقد قطعَتْها بنا المركبة دون أن نعرج على مكان من الأمكنة » .

فقال « سيك » والغضب لا يزال مرتسماً على وجهه :

- « حسن ... ها هى ذى المائدة مُعدَّة وحافلة بما يشتهى الإنسان من الأطعمة اللذيذة ، فاجلس إليها وتناول عشاءك معنا ، وعندما تفرغ من الطعام فانطرح على ذلك السرير الذى تلقاه فى زاوية الغرفة ، وخدُدْ نصيبك من النوم فسوف نستيقظ مبكرين جدًّا ، ونغادر المنزل فى الساعة الحامسة . . . »

فلم يتنبيس «أوليڤر » ببينت شفّة ، ولا جرَّوُعلى أن يسأل ذلك الوحش المفترس إلى أين المسير في الصباح الباكر ، فرأى « سيك » و « نانسي » قد جلسا إلى المائدة فحذا حلَدُ وهما وتبلّغ بقليل من الطعام ، ونفسه عازفة "عنه ، ثم مضي إلى السرير واستسلم للرُّقاد . . .

وقُبُسَيْل الساعة الخامسة ، شعر بالسرير يُهَـزُ هزاً عنيفاً ، فوثب ناهضاً ، فأمره «سيك » بارتداء ملابسه ، فأذعن ساكناً وقبل أن يخرج به من المنزل و قَفَه «سيك » وقال له وهو ممسك " بمسد "س في يده :

- ــ « أتدرى ما هذا ؟ » فقال « أوليڤر » :
- \_ « إنه مسد سيك » ياسيدى ! » فقال « سيك » :
- «انظر... لقد وضعتُه فى جيبى وفُوَّهته إلى الحارج، فإن بدا لك أن تهرُب أو تتلكّأ فى تنفيذ ما آمرك به فى أثناء رحلتنا ، ألهبتُ دماغـك برّصاصه ، وتركتك جسداً بلا روح . . . أفهمت ؟! »

فحال ذعر الغلام دون الجواب، فاكتفى بأن هز وأسه علامة الطاعة والخضوع ، وحانت منه التفاتة إلى « نانسى » فقرأ في عينيها معانى الألم والراعة له ، فخاف من العاقبة التي تنتظره ، ولكنه تشجع إذ رأى إنساناً يعطف عليه في محنته الأليمة .

وخرج « سیك » و « أولیڤِر » من المنزل ، وبقیت « نانسی » فیه ،

فا كادا یخطوان خطوة واحدة ، حتى رأى « أولیڤر » المركبة التى أقلتُه

الله كادا یخطوان خطوة واحدة ، حتى رأى « أولیڤر » المركبة التى أقلتُه

الله كادا یخطوان خطوة واحدة ، حتى رأى « أولیڤر » المركبة التى أقلتُه

إلى « سيك » مساء أمس واقفة قرب الباب ، وكأنبها تنتظرهما ، فاستوى « سيك » و « أوليڤر » فيها ، فانطلقت بهما من غير سؤال ولا جواب .

العلم، وهناك الدّروب الضّيقة والأزقة القلدرة ، قد انتهت إلى الطريق المتازت بهما الدّروب الضّيقة والأزقة القلدرة ، قد انتهت إلى الطريق العلم، وهناك أخذ جواداها ينتهبان الأرض انتهابًا ، فأدرك أنهما غادرا مدينة « لندن » ، وأنهما يقصدان إمّا قرية من القرى فى ضواحى العاصمة ، أو مدينة من المدن القريبة . وكان « سيك » هو أيضًا صامتًا لا تنفرج شفتاه عن كلمة من الكامات ، ولكنه كان من حين إلى آخر ، يُخرج مسدّسه من جيبة ، ويعبث به قليلا ، ثم يصوّبه إلى « أوليقر » وهو يقول له :

\_ « تذكَّر ما أوصيتك به ، وإلا فأنت تعرف عاقبة العصيان! »



666666666666 10 99999999999999999



٦

جرت المركبة بالمسافرين جريبًا حثيثًا حتى انتصف النهار ، فوقفت عند باب مطعم من المطاعم وزل «سيك» منها وجر معه «أوليڤر» ودخلا المطعم ، فتناولا فيه طعام الغداء ثم دخن «سيك» عد قلفافات من التبغ ، ثم خرجا واستقلا المركبة فتابعت بهما السير إلى حيث يقصدان بل إلى حيث يقصد «سيك» فاكان «أوليڤر» ليسَد ري كما عامنا إلى أين ستنتهى بهما خاتمة المطاف ، ولاكان يدرى الغرض من هذه الرحلة . واستمر ت المركبة تجرى بهما حتى توارت الشمس وراء الأفق ، وبدأ المساء ينتشر على الأمكنة والبقاع ، وعلى حين فجأة وقفت المركبة وبدأ المساء ينتشر على الأمكنة والبقاع ، وعلى حين فجأة وقفت المركبة

على مقربة من أحد الجسور ، فترجل الحوذي وترجل بعده «سيك » و «أوليقر » ثم أشار «سيك » إلى الحوذي إشارة خاصة ، وأمسك بيد «أوليقر » وسار به في خطئي واسعة ، فما شك الغلام المسكين إلا أن رفيقه الظالم قد جاء به إلى هذا المكان ليغرقه في النهر ، ويتخلص منه في هذا المكان البعيد ، فلا يقف أحد على جريمته ، فارتعدت فرائص الغلام عندما جالت بخاطره هذه الفكرة ، وازداد يقينه بالحطر الداهم حين رأى «سيك » لا يجتاز به الجسر ، بل ينزل من أحد جانبسيه إلى مستوى النهر ، فبدا له أن يصيح مستغيشا ، ولكن تذكر المسدس في جيب غريمه ، ووازن بين الموت قتلاً بالرصاص أو غرقاً في مياه النهر ، فآثر الصمت مستسلماً لمشيئة الله ، منتظراً مصيره المحتوم .

وصل «سيك » به إلى حافة النهر ، ولكنه لم يسَرْميه فيه كما توهسَّم ؛ بل سار به في درَّب ضيت متعرَّج ، حتى بلغا كوخاً من الأكواخ مُقاماً على جانب النهر ، فتنفَسَّ « أوليڤر » الصعداء لما رأى «سيك » يطرق باب الكوخ طرقاً خاصاً ثم ينفَسْتَحُ الباب ويدخل منه إلى الكوخ ، ويستقبله فيه رجلان تبعث سَحَنْنَتُهُما البشعة بالذَّعْر في القلوب ، ويقول له أحدهما وهو يشير إلى «أوليڤر» : « مَنْ هذا ؟ »

فأقبل « سيك » على الرجلين يحدّ ثهما حديثًا خافتًا ، فبدت على الرجلين يحدّ ثهما حديثًا خافتًا ، فبدت على الرجلين علاماتُ الطمأنينة ، بل لعل وجود الغلام قد سرّهما، ثم دَعَوا الرجلين علاماتُ الطمأنينة ، بل لعل وجود الغلام قد سرّهما، ثم دَعَوا الرجلين علاماتُ الطمأنينة ، بل لعل وجود الغلام قد سرّهما، ثم دَعَوا

« سيك » والغلام إلى تناول الطعام ، فأكلوا جميعاً ثم قال « سيك » يخاطب « أوليڤر » :

«تَمَدَّدُ على هذا المقعد وتمتَّعُ بِقِسْطٍ من الراحة فإننا سنستأنف السَّيْر في منتصف الليل » .

فامتثل « أوليڤر » للأمر ، وكان فى أشد " الحاجة إلى النوم وال احة وفى منتصف الليل دهش الغلام إذ رأى الرجلين يصطحبانهما ، ويركبان معهما المركبة التى جاء هو و « سيك » بها ، وكانت تنتظر القوم حيث وقفت على مقربة من الجسر ، فبدأ « أوليڤر » يفكر ويُطيل التفكير لعله يدرك الهدف من هذه الرحلة الشاقة مع هؤلاء الأبالسة ، فما استقر في ذهنه رأى يرتاح إليه

وبعد مسير ساعة من الزمان، وقفت المركبة ونزل منها الراكبون وساروا قدُدُماً بين المزارع حتى وصلوا إلى منزا، جميل عام فى وسط حديقة غناء، يحيط بها سور قليل الارتفاع، فوقف الرجال الثلاثة عند جانب من جوانب السور، وأخرج «سيك» مسدسه وسد دَه إلى صدُعْ «أوليڤر» وهو يقول له همساً: «تذكر وحذار». ثم تسدّق أحد الرجلين السور وهبط منه إلى الحديقة، ورفع «سيك» الغلام وقذف به إلى الحديقة، فتلقاه الرجل الذى سبقهم إليها، سمّ لحق به «سيك» والرجل الآخر، ومشى الرجال الثلاثة والغلام فى خطول نخفيفة إلى أن بلغوا باب المنزل، متسترين

66666666666666 11 359999999999999

بِرِداء الظلام ، وهناك انفرد « سيك » بالغلام وهمَمَس في أذنه :

- « انظر إلى هذه الكوّة الصّغيرة فى أعلى الجدار . . . سنفتح بأدواتنا بابها الحشبي ، وسنرفعك إليها فتجتازها وتهبط منها إلى السلّم ، فهو غير بعيد منها ، ثم تنحدر منه إلى باب المنزل فتشد مرز لاجه وتفتحه لنا . . . وإياك أن تحد ثك النفس بغير هذا الذي آمرك به ، وإلا مز قت جسدك برصاص مسد سي أنتى كنت » .

فما وسَيِع «أوليڤر » إلا الإذعان ، ولكنه كان قد صمم في قَرَارة فقسه أن يهبط من الكوّة إلى السلّم، ويملأ المنزل صياحاً واستغاثة ، لعل سكان المنزل يُهوْرَعون إلى نتجدّته ، وينقذون أنفسهم من هؤلاء اللصوص الذين جاءوا يُغيرون عليهم ويسلبونهم المال والمتاع .

وقف أحد الرجلين مستنداً إلى الجدار وعاون الرجل الثانى على أن يرتفع إلى كتفيه ، فلما استقر عليهما بلغ الكوة فأخذ يعالج بابها بما فى جيوبه من أدوات حتى فتحه ، وهنا اقترب «ميك» من «أوليڤر» و رفعه بكلتا يديه ، وقذفه إلى الرجل الذى فتح باب الكوة ، فتلقاه بيده اليمنى ، في حين أمسك باليسرى حافة الكوة حتى لا يسقط ، وبعد أن استعاد توازنه ، دفع بالغلام إلى مدخل الكوة ولكن ... لمع فى المنزل على حين غرة ضوء مصباح أعقبه طكت نارى سقط «أوليڤر» على أثره مرتمياً إلى الحديقة ، فتلقفه «سيك» ثم علا الضجيج فى المنزل، فلم يسسع اللصوص

6666666666666 11 222222222

ويرحل عنه ففعل .

وطلَع الصباح من خلال الغمام الذي كان يملأ السماء ، فأفاق « أوليڤر » وهو يرتجف من البرد ، وكان لا يزال خاثر َ القُـُوك ، فاستغرب من وجوده في تلك الحفرة ، فتحرّك قليلاً من موضعه ، فاشتدُّ عليه الوجع ، فتحسَّس ذراعه اليسرى فإذا هي تنزف دميًّا من تُسَايا رباطها المحكم ، فصاح متألمًا وبقى يزفر ويتنهسَّد حتى طلعت الشمنس ، فاستجمع قواه وخرج من الحفرة ، وأخذ يُجِيل الطَّرُّف فيما حوله ، فلم يعرف أين هو، فمشى بين المزارع لعله يجد أحداً يستنجده ويُعنَّى بجرحه ، وظلُّ يمشى متحاملاً على نفسه إلى أن لاح له منزل موريب محاط بحديقة مسورة ، فقام فى ذهنه الصغير أنه يعرف هذا المنزل وتلك الحديقة ، ولكنه لا يذكر متى رآهما ، فسار إليها يتعتر مرّةً وينهض أخرى ، فوصل إلى باب الحديقة وكان مفتوحاً ، فدخل منه ومشى إلى باب المنزل وهو يكاد يقع من شدّة الألم والإعياء ، فما إن يحدّق إلى المنزل وإلى الكوّة التي في أعلى الجدار ، حتى ينجلي له الموقف ، ويتذكّر حوادث الليلة الماضية ، ويعلم أنه المنزل الذي حاول اللصوص سرقته معتمدين عليه في غرضهم الأثيم ، ففكَّر أن يعود على أعقابه هاربًا لثلا يُستَّهمَ بجريمة السَّرقة ، ولكنه سقط مغشيًّا عليه عند الباب .

وكان سكتًان المنزل يتألّفون منأرملة عجوزوصبيتة حسناء ومن طبيّاخ

إلا الهرب ، فتسلَّقوا سور الحديقة ولاذ الرجلان بالفرار ، أما « سيك » فكان أبطأ منه.ما حركة ، لأنه كان يحمل « أوليڤر » مغشيًّا عليه .

وشعر «سيك» بعد قليل أن سكتان المنزل قد غادروه إلى مطاردتهم، فأصوات الناس ونباح الكلاب تمزق سكون الليل ، وتصل إليه فتحدوه على الإسراع في الهرب ، ولكن كيف السبيل إلى الفراز وهذا الغلام المغمى عليه يعوقه عن الركض والابتعاد عن المطاردين ؟!

وزاد فى قلقه وحسَنقه سماعه دوى عجلات المركبة التى كانت تنتظرهم، فعلم أن زميليه قد استقلاها وهربا بها . وبيما هو يجرى على غير ههدى، عثرت رجله فوقع فى حه رة فتدارى بها هو والغلام ، على أمل أن يستأنف الهرب عندما تخف وطأة المطاردة ، وحيما وضع « أوليقر » فى أرض الحفرة لهرب عندما تخف وطأة المطاردة ، وحيما وضع « أوليقر » فى أرض الحفرة لحظ أن ذراع الغلام اليسرى يسيل منها الدم ، فأدرك أن الطلّش النارى قد أصابه دونهم جميعاً ، فأخذ الشال الملفوف على عنقه ، وربط به جرح و أوليقر » ربطاً محكماً فنعه من النزيف ، وقضى ساعات طويلة فى ذلك الخبأ ، لا يستطيع الحروج منه . وكان كلّما مممم عمادرته طقت مسمد محمد أصوات المطاردين فقب عنه ، وعندما بدأت خيوط الفجر مسمد محمد أصوات المطاردين فقب عنه ، وعندما بدأت خيوط الفجر نومه أو غيبوبته ، فقال فى نفسه : إن هذا الغلام سيعوقنى عن الهرب ، وجرحه علامة " مميزة " تلفت الأنظار إلى " فى هذه البُقعة ، فقرر أن يتركه وجرحه علامة " مميزة " تلفت الأنظار إلى " فى هذه البُقعة ، فقرر أن يتركه وجرحه علامة " مميزة " تلفت الأنظار إلى " فى هذه البُقعة ، فقرر أن يتركه

666666666666 Y. 3333333333333333

وخادم وخادمة ، ومدبتر للمنزل يدعى «جيل» نشأ فى كَنَفَ الأسرة ورُبى عندها فاكتسب بذلك بعض الرعاية والسلطان ، وكان هو الذى أطلق النار على المعتدين فى الليلة البارحة . فلما سمع جيل حركة عند باب المنزل أمر المحادم بأن يستقصى الأمر فعاد إليه وهو يقول :

- اغلام جریح یا سیدی! ،

فسارع كل من في المنزل ما عدا الأرملة العجوز إلى رؤية ذلك الغلام الجريح ، فصاح « جيل » مزهواً مفتخراً يخاطب الصبيلة الحسناء:

- « مولاني إنه أحد اللصوص الذين أعاروا علينا لياة أمس . . . . ان رصاصتي قد أصابت منه متَقْتَكُلاً » .

وتفرّست الفتاة في وجه « أوليڤر » فتحركت في فؤادها الشفقة به والرثاء لحاله فقالت :

- ( انْقُلْمُ أَيَا "جيل " إلى غرفتك ، واستدع الطبيب في الحال ، وكونوا جميعيًا معه حُلْمَاء كُرَمَاء النفس! » فقال « جيل » :
- « مولاتى ! إنه أحد اللصوص الذين هاجمونا طيلة أمس ! » فقالت الفتاة غاضبة :
- « إنه غلام جريح وكنى ، وسننظر بعد ذلك فيمن يكون ! » ونُفَد قوار الفتاة ، فنُقيل « أوليفر » إلى غرفة « جيل » وأقبل الطبيب بعد قليل فضيد جرح الغلام ، وأسعفه الإسعاف اللازم . وكانت الفتاة

والأرملة العجوز تنتظرانه في البهو ، فاستوضحتاه شأن الجريح فقال :

- « لقد انتزعت الرصاصة من ذراعه وضمدت جرحه ، فهو الآن في غيبوبة ، وقد يستفيق بعد ساعة أو ساعتين ، وسأعود إلى زيارته قبيل الظهر ، ولكنبي أرجوأن لا يُرْعَجباً لأسئلة وأن لا يُحَمَّمَل على الكلام » .

وسكت الطبيب هنيهة ثم قال:

- « وهكذا يا سيدتى عُنيتِم بمن حاول سرقتكما البارحة! ،

- «إنه أصَّغَرُ من أن يكون في عيداد اللصوص » . فقال الطبيب:

- « اللصوصيّة كالموت يا آنستي ، فلا تفرّق بين الأعمار ، .

- « ولكن عايل الغلام لا تدل على الإجرام ، ثم ما يك رينا أنه أحد اللصوص الذين هاجمونا البارحة ؟ أيكنى أن نرى غلامًا جريحًا فنوقن أنه اللص الذي أصابه " جيل " برصاصته ؟ » فقال الطبيب :

ــ « قد تكونين على صَواب يا آنستى ، وكبفما كان الأمر فالحقيقة ستنكشف عما قريب » . فقالت الأرملة العجوز :

- « لقد أبلاً عُنا رجال الشرطة بالسَّرقة ، فهل نتركهم يستجوبونه إذا حضروا ؟ » فقال الطبيب :

- «كلا! فحمَّ على الكلام يُعمَّرُ ضه خُطر محقَّق . ولك ياسيلتى أن تقولى لرجال الشرطة إن الطبيب المعالج يرجو منهم إرجاء استجواب الغلام ريثًا يزول عنه الحطر . . . » فقاطعت الفتاة الطبيب قائلة بـ

666666666666 AL 9999999999999



- « إِنَّنَا نَتَحَدَّثُ عَنَ هَذَا الغَلَامِ تَحَدُّثُ المُقَتَنَعِ بَجُرِمِهِ ، في حَينُ أَنَّهِ قَد يكُونَ بريئًا ، ونفسى تَحَدَّثْنِي أَنَّهُ بَرِيءَ . . . »

فود على الطبيب الفتاة والسيدة الأرملة ، ووعد بالعودة بعد ساعات قلائل. ولم يكد الطبيب يبتعد من المنزل حتى أقبل رجال الشرطة يحققون في حادث السطو، ويعاينون الأمكنة ، ويستجو بون سكان البيت ، ولما أرادوا أن يدخلوا حجرة «جيل» تصد ت لم الفتاة وأخبرتهم أن فيها غلاماً جريحاً جاءهم في هذا الصباح مستغيثاً مستنجداً ، فاستد عنوا له الطبيب وحاله الآن تنذ ربالحطر ، ثم بيسنت لهم الفتاة أنها لا ترى صلة من الصلات بين هذا الغلام وحادث السطو ، فسنت لهم الفتاة أنها لا ترى صلة من اللصوص الذين يسطون على المنازل ، ولو فرض المستحيل وكان ميمسن سطوا على منزلنا لما جاء إلينا يسعى عن حستفه بظلفيه . . .

فَوَتْقَ رَجَالُ الشَّرَطَةُ بِكَلَّرُمُ الفَتَاةُ ، وعدلوا عن استجواب الغلام ، ولكنهم اشْتَرَطُوا عليها أن يكون رَهُن العدالة إذ ما بدا للقضاة أن يحققوا أمره ويستجوبوه ، فعاهدتهم على ذلك .

ومكث « أوليڤر » عدّة أيام طريح الفراش وصريع الحمتَّى ، وْلَمُ يدّخر الطبيبُ وُسْعًا في معالجته ، ولا توانت الفتاة الحسناء واسمها « وردة » عن مداراته والعطف عليه ، حتى فارقته الحمتَّى وأخذ البرء يتمشَّى في جسده السَّقيم النَّاحل . ويوم استطاع أن يستوى في سريره ممّاثيلاً للشّفاء،

6666666666666 V: 2222222222



٧

فى ضُحى اليوم الذى تحامل فيه « أوليقر » على نفسه وخرج من الخفرة ومشى وهو جريح محموم يلتمس النسجدة والمعونة ، كانت مدبرة الملجأ الذى ولد فيه « أوليقر » جالسة إلى موظف الملجأ تسمع منه الأوامر التي كلسّفه مجلس إدارة الملجأ أن ينقلها إليها ، وبينا كان الموظف أى السيد « بمبل » يتحد ث بلهجته الخطيرة ، والمدبرة تصغى إليه فى حدد وانتباه حتى لا تفوتها شاردة ولا واردة من حديثه ، قرع أحد القادمين باب الحجرة قرعاً عنيفاً فقالت المدبرة :

- « مَن القادم ؟ ادخل! »

6666666666666 yy 999999999999999

قص من الآسة و وردة ، في حضور السيدة الكبيرة والطبيب قصته التاعسة ولل هلك أحد في روايته ، بل رَدُوا كلهم لحاله ، وأحاطوه بالعطف والشفقة ، ولا تسل عمّا اجتاح فؤاده من شعور الوفاء والعرفان بالجميل حين رأى الآنسة و وردة » تسميل عليه لتسُلح من جلسسته في السّرير ، وتسكب من عينيها عبرتين سخينتين انهمرتا على خد ه الأيسر ، فعصفتا بقلبه ، وحار كيف يعبس لها عن ولائه ومحبته وإخلاصه إزاء هذا الحنان الذي غمرته به

وشنى « أوليڤر » تمام الشّفاء ، واستضافته الأسرة ، وقضى معها أيامًا جميلة هانثة . . .



6666666666666 Y1 999999999999999

## بصوت خافت يشبه الهمس:

- « اقتربى منى . . . يجب أن أقول لك . . . أتذكرين أنتى فى هذه الغرفة ، وعلى هذا السرير ، كُلُلَّفتُ فيها مضى السَّهرَ على سيلدة حسناء فتيلَّة ، وفد ت إلى الملجأ معفَّرة الشَّعر والثياب ، مورّمة القدمين من طول ما مشت ؟ . . . إن هذه السيدة الجميلة قد وضعت غلاماً وماتت . . . آه ! دعيني أفكر في أيلَّة سنة كان ذلك . . . » فقالت المدبرة :

- « لا تَحَفْلَى بالسَّنةُ . . . وقولى ما تريدين أن تقوليه . . . » فتجلَّدت المحتضرة كمن يستمدُّ القوة من روح خيى وقالت :

- « لقد سرقت من هذه السيدة شيشاً ... نعم سرقت منها شيئاً قبل أن تبرد جشّتها ... » فقالت المدبرة وقد أن تبرد جشّتها ... » فقالت المدبرة وقد نَهَد صبرها :

- « قولى ماذا سرقتِ منها ؟ » فقالت المحتضرة :

- « الشيء الوحيد الذي كانت تملكه . . . كانت تضعه فوق قلبها . . . كان من الذهب و ربسها استطاعت به أن تنقذ حياتها . . . ، قلبها وارتمت المحتضرة إلى الوراء مُتعبّة ، فالت عليها المدبسرة وهي تقول فل بلهفة وفمُضول :

... «كان من الذهب ... ثم ماذا ؟ من كانت هذه الأم الفتيلة ؟ » فقالت المحتضرة :

وفتح الباب وبدا منه رأسُ متسوّلة عجوز ، فقالت لها المدبسّرة في نـَزَق وحَمَنَتَى :

ــ « ماذا تريدين ؟ » فقالت المتسوّلة :

- « سيّدتى ! إن العجوز " سالى " تحتضر وتعالجُ سَكرَات الموت! «فقالت المدبّرة متضجّرة :

- « وماذا عساى أن أصنع لها ؟ أفي وُسْعى أن أُردَّ عنها غائلة َ الموت ؟ » فقالت المتسولة :

- كلا فما من الموت مفر"! ولكنتها تتوستَّل إليك أن تُهُورَعي إليها في الحال قبل فَوات الأوان ، فلديها سِرٌّ خطيرٌ تريد أن تُفْضي به إليك ، ولن تموت مرتاحة الضمير إذا هي فارقت هذه الدنيا ومعها السرّ المغيبِّب في صدرها »

فاستأذنت المدبِّرة من الموظف وخفيَّت هي والمتسولة إلى حجرة مهملة من حجر الملجأ كانت مأوى المحتضرة ، فرأت هناك عجوزاً أخرى تسهر على المريضة التي كانت أقرب إلى العالم الثانى منها إلى هذا العالم ، فأخلت العجوز المكان للمدبرة وخرجت والمتسوّلة من الحجرة ، فاقتربت المدبرة من المحتضرة وقالت لها :

&&&&&&&&&

أمًّا هو فمكث قليلاً يضرب أخماساً لأسداس ، ثم تناول قبعته وخرج من الدار قاصداً إلى نُرْل لا يجتمع فيه إلا المجرمون واللصوص ، فرحَّب به صاحب النَّرْل فقال له اليهوديّ العجوز :

- « هل " مونك " هنا ؟ » فقال صاحب النّزل :
- « كلا . ولعلنَّه يحضر بعد قليل » . فقال اليهوديّ العجوز :
  - « حسن . أخبره أنى في انتظاره مساء غد في منزلي الثاني » .

وغادر العجوز المكان، وذهب توًّا إلى منزك « سيك » والشَّمرر يتطاير من عينيه وفى أثناء الطريق قال لنفسه :

إن كان «سيك » قد تآمر هو و « نانسى » على الاستئثار بالغلام ، فالويل لهما من انتقامى . دخل المنزل فاستقبلته « نانسى » باسمة ، فأوّل معىي ابتسامتها ألف تأويل فقال لها :

- « أين " سيك " ؟ » فقالت « نانسي » :
- « لستُ أدرى ! » فقال وقد حدّق إلى عينيها ليستشفّ مطاوِي صدرها :
  - « والغلام ؟ » فقالت في صراحة ظاهرة :
    - ــ « لستُ أدرى ! » فقال العجوز :

- « أوصتنى أن أحتفظ به بكل دقية وعناية ... عهدت إلى في حفظه لأنى كنت الإنسان الوحيد القائم إلى جانبها في لحظة وفاتها . . . ولعلتى أنا أيضًا السبب في موت الطفل ... ربيّما أحسنوا معاملته لو عرفوا ... وتعبت المحتضرة من الجهد الذي بذلته في هذا الحديث ، فغامت عيناها ، وارتخت مفاصلها ، فقالت لها المدبيّرة جازعة مستطلعة :

- ــ « ما اسم هذا الطفل ؟ » فقالت المحتضرة :
- « كانوا يسمّونه « أوليڤر » ... والذهب الذي سرقته كان . . . » وحال الموت دون تتمنّة عبارتها وأسلمت الروح . . .

وفى ضُحى ذلك اليوم أيضًا عرف اليهودى العجوز ممنًا طالعه فى الصحف أن العصابة قد أخفقت فى السطّو على المنزل المنشود ، فأحرق الأرّم غيظًا ، وبات يتوقعً أوخم العواقب من ذلك الإخفاق ، ولكنه اطمأن باله بعض الاطمئنان حين قرأ فى تلك الصحف أن اللصوص قد تمكنوا من الفرار ، وأن رجال الشرطة والمباحث جاد ون فى أثرهم وبسَيْنا كان مستغرقاً فى تفكيره مساء اليوم التالى ، دخل عليه اللصان اللذان اشتركا فى السطّو فقصًا عليه القصّة من ألفها إلى يائها ، فصاح فى وجهيهما غضبان هائجاً :

- « ويحكما من تاعسين ! . . والغلام ؟ ! . . . الغلام ؟ ! . . . » وراعى اللصّان غضب الزّعيم فانصرفا لعلَّ الوحدة تهدئ من ثائرته ،

6666666666666 A. 2222222

- «أورد من صميم الفؤاد لومات برداً أو جوعاً أو برصاصة عابرة، حتى ترتاح نفسه من حياة الإجرام التي يحياها . أما الغلام فكان الله في عونه وأنقذه من مخاليبك وبراثينك » . فصاح فيها اليهودي العجوز:
- « دَعِي عنك هذا الرّياء . . . فأنت و "سيك" تعلمان حق العلم أن لهذا الغلام قصة ، وأنتى سأجندى من وراء تلك القصة مئات الجنيهات

إذا أنا قدمتُ بأمر معينَّن... فإن أخفيتهاه عنتى فالويل لكما من انتقامى..» وتركها ذاهلة مدهوشة ممنًا سمعت ، وانصرف يقضى الليل فى منزله الثانى . وفى مساء اليوم التالى زاره هذا الذى يدعى « مونك » وأنن لم يظهر إلا الآن فى سياق روايتنا هذه ، لقد كان على صلة باليهودى العجوز ، يتقابلان سرًّا ويتآمران معاً على الغلام « أوليڤر » فأما تقابلا وجهاً لوجه قال اليهودى العجوز بصوت ملؤه الحسرة والأسى :

- «كلا. لم يكن من السبّه لل حسّم لله على النسّشل، فهو غلام ذكى عنيد ، لا يفعل إلاّ ما يريد ... ومنذ أليوم الذى جئتني فيه تخبرنى أن هذا الغلام هو ضاليّتك المنشودة ، وأنا أجهد فى تنفيذ ما اتّفقنا عليه . . .

- « لقد لمحت خيال امرأة يتلصّص علينا ويتمنصّت إلينا . . . » فهداً اليهودى العجوز من رَوْعه، وأكلّه له أن ما من مخلوق رجلاً كان أم امرأة يجسر على تخطى عتبة باب المنزل إلا أن يكون من زُمْرة العصابة، وهؤلاء لا يتلصّصون ولا يتنصّتون، بل يدخلون تواً حيث يكون. فلما لم يقتنع « مونك » بمنطق العجوز ، شاء هذا أن يُشْبت له صحلة ما يقول ، فأخذ المصباح وجال و « مونك » في أنحاء المنزل غرفة " غرفة ، فما لحا آثار إنسان ، فانصرف « مونك » ونفسه فريسة "للهواجيس والوساوس .

وظهر « سيك » بعد أينام ، فما استطاع أن يخبر اليهودي العجوز بمصير « أوليڤر » ولا استطاع أن يهدِ يَ من ثائرته ، ثم انقضت عد ة أسابيع وما من نبأ عن الغلام ، وكان اليهودي العجوز كلما خلا إلى نفسه طار فكره إلى الغلام « أوليڤر » وود ً لو عرف مقر ه فجند له الإنس والجن يختطفونه ويعيدونه إليه ، حتى لا يفقد المبلغ الضخم الذي وعده به « مونك »



مقابل إفساد الغلام ، ولكن أنتى له الرَّجْم بالغيب ليعلم أن « أوليڤر » سعيد ٌ كل السَّعادة في ضيافة الأسرة التي آوته ، وأنه يشغل نهاره بصيد العصافير وسَقَيْ الأزهار وتسلُّق الأشجار .

وأقبل « أوليڤر » ذات يوم على الآنسة « وردة » وقال لها :

ــ « فى صدرى كلام أريد أن أفضى به إليك يا آنسة ، ولكنتّنى أخشى أن تتّهميني بالعقوق وإنكار الجميل » . فقالت « وردة » مبتسمة :

. « قل ما بدا لك يا عزيزى " أوليڤر " ولا تخْش بأساً ! » فقال « أوليڤر » :

« وددت لو علم ذلك المحسن الرقيق الفؤاد السيد " براون " ومدبرة منزله التي عطفت على و رعتني ، أنم مقيم " عندكم سعيد" بضيافتكم » .

- « ما أطبيب عنصرَك يا " أوليڤر" وما أنْسبَل شعورَك ! أنا لا أشك في أنهما سيغتبطان لاغتباطك ، فاعلم أن الطبيب الذي عالجك قد وعدنا أن يصحبك إليهما في يوم من الأيام » .

ولم يطل انتظار « أوليڤر » لليوم الموعود فقد جاءه الطبيب بعد أسبوع ، واستقل معه مركبة الأسرة ، وذهبا يزوران السيله « براون » ولكنهما عادا من رحلتهما والأسي يملأ قلب « أوليڤر » فقد وجدا المنزل خلواً من السكان ، وعليه لافتة للإيجار ، وعلما أن السيد « براون »ومدبرة منزله قد رحلا منذ أربعة أسابيع إلى بلاد الهند الشرقيلة .

666666666666 N 9999999999999



٨

جلس موظف الملجأ ذات يوم إلى مكتبه يصرّف بعض الشؤون ، فطاف به الخيال كل مطاف وانتهى إلى أمر من الأمور فتنهد وقال :

- « لقد مضى شهران على ذلك الحادث ، ويخيل إلى أن مدة هذين الشهرين أطول من دهر! » .

ولعلم كان يشير بذلك إلى زواجه ؛ فمن كانت الزوجة الصالحة التى وقع اختياره عليها وبدأ ينافف من عشرتها ؟ إنها كانت مدبرة الملجأ ، فقد ضَمن بذلك الزواج الطعام الهنيء والشراب المرىء فضلاً عن مبلغ من المال نتهد تنه إيماه بعد أن كانت قد اد خرته فلسماً فوق فلمس .

وبعد أن تنهد الموظف أى السيَّد « بمبل » خرج من الملجأ وطاف

ومرّت على «أوليڤر » بعد ذلك ثلاثة أشهر ، ذاق فيها أطيب ألوان السعادة في صحبة الآنسة « وردة » والسيدة الوقور ، وكان « جيل » ومن حوله من خدم يبالغون في إكرام «أوليڤر » ويتفنناون في الحفاوة به ، فقد رَ « أوليڤر » جميلهم وجميل رجل شيخ من جيرانهم ، نزل من قابه منزلة حبيبة ، فكان يزوره كل يوم، ويلقنه مختلف الدروس في اللغة والحساب ومبادئ العلوم ، فتقد م «أوليڤر » في فترة وجيزة تقد منا باهرا ، وجعل الكتاب جليسهوسمير وحين لا يكون في صحبة الآنسة « وردة » أو في صحبة الكتاب جليسهوسمير وبلغ من شخفه بالدراسة وتحصيل العلوم أن أصبح لا يأوى إلى فراشه إلا في ساعة متأخرة من الليل ، ولا يترك الكتاب من يده إلا بعد أن يَشقيل جفنيه النَّعاس فلايستطيع له دفعاً ولامنعالبة من يده إلا بعد أن يَشقيل جفنيه النَّعاس فلايستطيع له دفعاً ولامنعالبة



666666666666 VI 99999999999

مظنون » . فقال « بمبل » :

« أتقصد الغلام " أوليڤر تويست" . . . ما عرفت علاماً أكثراً منه عناداً ولا أقبح خُلُقاً » . فقال الغريب :

- « ما جئتُ لأسمع أحاديثـَك عنه ووصفك لأخلاقه . . . بل جئتُ أعرف ماذا حلّ بالمرأة العجوز التي عنيت بأمّ الطفل » .

ـ « ماتت منذ عهد غير بعيد » .

وكأنما اكتنى الغريب بما علم ، فنهض منصرفاً ، ولم يمد و « بمبل » أفسرح الغريب لموت المرأة العجوز أم استاء، ولكنبه أدرك بذكائه وفطنته أن كل ما يُحيط بتلك المرأة من أخبار وأسرار يهم الرجل الغريب، فتذكر أن زوجته كانت إلى جوار « سالى » العجوز عندما لفظت أنفاسها ، وأنها استودعتها سراً من الأسرار فأراد أن يستفيد من الظرف الراهن لعله يكسب منه بعض قطع أخرى من الذهب ، فاستوقف الغريب وقال له :

- « أعرف سيتدة كانت إلى جانبها حين لفظت روحها ، وأعرف أنها أنهت إليها بسر خطير . . . » فقال الغريب :

ــ « وهل لى أن أقابل هذه السيدة ؟ » فقال « بمبل » :

... « يمكنك ذلك ولكن بوساطتي أنا, فإن شئت جمعتُك بها غداً » .. فقال الغريب :

- « حسن . أنتظركما غداً فى الساعة التاسعة مساءً. وإليك عنوانى » . وأخرج الغريب من جيبه ورقة كتب عليها اسمه وعنوانه ، وانصرف

على عدة مقاه حتى وصل إلى مقهى كان خالياً من الناس ، إلا من رجل واحد انفرد بنفسه وأخذ يحتسى شيئاً من الشراب ، فدخل « بمبل » المقهى ومر بالرجل وحياه ، فرد عليه الرجل التحية غير حافل به ولا مكترث له ، وكان يبدو على الرجل أنه غريب عن المكان ، وأنه قادم من سفر بعيد فلا تزال ملابسه معفرة بالغبار . ولكنه لما أردف « بمبل » تحيته بذكر اسمه انتفض الرجل وقال :

- « لقد جئتُ إلى هذه المدينة لأبحث عنك ، وها هى ذى ملائكة السمّاء أو أبالسة الجحيم قد دفعتك إلى دَفْعاً . . . جئت أتزوَّد منك ببعض الأخبار ، ومهما بلغت من التَّفاهة ، فلن أستأثر بها مجّاناً لوجه الله . . . فخذ هذه الدَّفعة على سبيل المقدَّم من أتعابك » .

ورمى إلىه بجنيهين من الذهب ، فأخذهما « بمبل ودستَّهما سريعيًّا في جيبه ، وأصغى إلى الغريب يقول له :

- « ابحث فى ذاكرتك ... هيًّا ... منذ نحو أحد عشر عامًا ... فى الملجأ الذى تديره الآن ... كان الوقت ليلاً ... ولم يكن المكان إحدى غرف الملجأ ... بل حجرة حقيرة مهمملة ... » فقال « بمبل »:

- « لعلمَّك تشير إلى قاعة الولادة في الملجأ » . فقال الغريب :

« نعم . فقد وُلد فيها غلام . . . كفله الملجأ ثم دفع به عندما ترعرع إلى صانع توابيت ليعمل عنده . ولكنه فر منه إلى " لندن " كما هو

666666666666 NA **33**33333333333333

إنتها سرقت شيئًا من أمّ الطفل » . فقال ﴿ مُونِكُ » :

 ( أسرقته في حياة الأم أم بعد وفاتها ؟) فقالت زوجة ( بمبل ) : - « سرقته بعد مماتيها ، وكانت الأم قد أوصتها بأن تحتفظ به حتى

تسلمه لابنها ، ولكنها باعته » . فصاح « مونك » بصوت ملؤه اليأس :

« أين باعته ؟ ومتى ؟ ولمن ؟ » فقالت زوجة « بمبل » :

- « في اللحظة التي حَدَّ ثَتَنْني عن هذه السرقة انقلبت ميسّة » . فقال « مونك » غاضباً :

- « هذا كذب صراح ! إنكما تخدعاني وتخفيان عني كلام المرآة لتبتزًا مني النقود ... فوالله لو عامتُ بكذبكما لأقتلنكما شرّ قتلة ! » فقالت زوجة « بمبل » هادئةً ساكنة :

- « لم تزد على ما قلته لك حرفًا واحداً . . . وقبيل أن تلفظ أنفاسها ، رأيتها تضع يدها فوق ثيابي ، فلما ماتت وجدتُ كفُّها منطوية ً على ورقة عتيقة » . فقاطعها « مونك » قائلا ً :

ــ « وعلام َ كانت تحتوى ؟ » فقالت زوجة « بمبل » :

ــ « ما كانت تحتوى على شيء . . . كانت وصلاً من بنك اارهون لحامله ... فاسترددت أنا بعد يومين الحلية المرهونة ... » فقال « مونك »:

« وأين تلك الحلية الآن ؟ » فقالت زوجة « بمبل » :

ـ « ها هي ذي » .

عاجلاً وتوارى عن الأنظار ، وبتى « بمبل » عدة دقائق يطالع المكتوب فى تلك الورقة ، فعلم أن العنوان يشير إلى بعض الأحياء الحقيرة في المدينة ، أُمَّا اسم الغريب فكان « مونك » .

وفى الموعد المضروب من مساء اليوم التالى ، كان « بمبل » وزوجته في مسكن « مونك » فاستهل الحديث قائلاً يخاطب السيدة :

 « قال لى هذا السيّد إنك كنت إلى جوار تلك السيّاحرة العجوز ساعة استأثرت بها رحمة الله، وإنها أفضتْ إليك بأمرٍ من الأمور ...»

- « وكم يساوى هذا الحديث الذي سأنهيه إليك؟» فقال « مونك »:

« إن رأيتُ فيه بعض الفائدة دفعتُ ثمنه عشرين جنيهاً » .

 « لن أبوح به بأقل من خمسة وعشرين جنيهاً تدفع الآن عداً ونقُداً ، سواء " استفدتَ منه أم لم تستفد ، على أنني واثقة "كل الوثوق أنك ستجده جليل الشأن والحطر ، وتنتفع به الانتفاع الذي ترجوه » .

وبعد قال وقيل ومساومة ، نقدها « مونك » المبلغ فقالت : لا ماتت تلك المرأة العجوزالتي نسمتيها " سالى " كنت الوحيدة " إلى جوارها » . فقال « مونك » في صبر نافد :

\_ « حسن . نعرف ذلك أتمتى حديثك » . فقالت زوجة « بمبل » : « لقد حد تنني عن امرأة فتية حسناء ولدت غلاماً قبل بضع سنوات ، وهذا الغلام هو الذي عُرُونَ فيما بعد باسم "أوليڤر تويست" ثم قالت لي 6666666666666 1. 99999999999999



وأخرجت من جيبها كيسًا صغيراً من الجلد ، ووضعته على المنضدة فاختطفه « مونك » وفتحه بيد مضطربة فإذا فيه خاتم زواج وحلية ذهبية على شكل قلب تحتوى على خصلتين من الشعر ، وقد كتب على الجاتم اسم « أنييس » دون ذكر لاسم الأسرة]، وحُفر َ عليه تاريخ يرجع إلى قبل مولد الغلام بسنة واحدة ه

وكان « بمبل » فى أثناء ذلك تتنازعه عوامل عد ق وهو صامت لا يتحرّك ولا يتكلم ، فلمناً رأى بأم عينه تلك النتيجة اطمأن بالا على حياته وحياة زوجته من انتقام الرجل ، وضمن الاستئثار بالمبلغ الذى قبضته زوجته . وسكت الثلاثة قليلا ، ثم قطع « مونك » حَبّل الصّمت وقال .

ــ « سأريكما على الفور مصيرً هذه الحلية ، ع

وَعَمَدَ إِلَى زَاوِية مِن أَرْضِ الغَرْفة فضغط بيده على مُربَبِّع خشبي ، وللحال انخفض من وسط الغرفة مرببَّع كبير ، فسمع تحته جبريان الماء ، وكان المنزل قائماً على حافة النهر ، ومتبَّصلاً به بمجبْرى من الماء ، فقال « مونك » :

- « كان فى استطاعتى أن أفعل هذا الذى فعلتُ عندما كنتما جالسين فوق المربَّع الذى انخفض الآن، فتذهبا إلى أعماق النهر جثَّتين هامدتين، أمَّا وقد تبيَّنتُ صدقكما ، فالمروءة تتقاضانى أن أبتى عليكما ، وسأقذف

فى النهر بدلكما هذه الحلية اللعينة . وأمسك بكيس الجلد الذي يحتوى على الحلية والحاتم، وربطه بقطعة ثقيلة من الصَّلْب ورماه فى المجرى وقال:

- « إلى الأعماق أيها الأثر الذَّميم ! . . . »

وبدا الارتياح على وجوه الأشخاص الثلاثة كأنهم تخلَّصوا من كابوس مخيف، ثم شكر « مونك » السيد « بمبل » وزوجته وقال لهما وهو يود عهما:

- « حلَه ار من التفريط بكلمة واحدة ممَّا جرى الآن بيننا إن كنمًا

وقضى « مونك » ليلته في ذلك المنزل ، ورحل فى الصباح إلى « لندن » وقصد على الفور إلى لقاء اليهودي العجوز في منزله الثانى ، فتضايق من وجود الفتاة « نانسي » هناك ، وكان « سيك » وهو عليل طريح الفراش قد أرسلها تأتيه ببعض المال من زعيم العصابة فتدارك اليهودي العجوز الموقف وقال يخاطبها :

\_ « ما عليك . إن القادم علينا هو أحد تلاميذى . \* ثم التفت إلى « مونك » وقال :

- \_ « أجنتني ببعض الأنباء ؟ » فقال « مونك » :
  - \_ ( بأنباء مهمة . . . ولكن . . . »

تؤثران الحياة » .

وأشار إشارة خفية إلى اليهودي العجوز ، ففهم أنه لا يريد الكلام على مسمع من الفتاة ، وخشى إن هو أوعز إليها بالانصراف أن تطالبه هي مسمع من الفتاة ، وخشى إن هو أوعز إليها بالانصراف أن تطالبه

بالمال الذي جاءت من أجله ، وقد كان في نيته أن يخفض المبلغ إلى النصف ، أو أن يساومها على أقل منه ، فتأبيَّط ذراع « مونك » وخرج به من الغرفة وعلمت « نانسي » من وقع أقدامه ما على السلم أنه ما يصعبدان إلى الطبقة العليا ، فانتظرت لحظة وصيرة حتى زال وقع الاقدام، فخلعت حذاءها ، وغطيَّت رأسها وذراعيها بالجانب الحاني من ثوبها ، وصعدت إلى حيث كانا، ووقفت وراء الباب تتنصَّت إلى ما يقولان ، وقد كتمت أنفاسها ، وعندما انقطع حديث الرجلين ، عادت في سرعة البرق إلى الغرفة التي كانت فيها ، وسمعت « مونك » يخطو إلى خارج المنزل . فلما عاد اليهودي العجوز إليها ، رآها تلبس قبعتها وتهم بالرحيل فقال لها :

- « يا لله منشحوب وجهك واصفرارك يا "نانسي " فماذا فعلت ؟ »

ــ « لم أفعل شيئًا وقد سئمت من الانتظار . . . هاتِ النقود » .

جاءت الفتاة تطلب خمسة جنيهات فانتهى الأمر باليهودى العجوز إلى أن ينقدها أربعة جنيهات وخمسة شلنات وخمسة بنسات ، فأخذتها ورحلت عن ذلك البيت الجهنسَّمى ، وكانت فى أثناء الطريق تفكر فى أمر من الأمور وتتمينَز غيظاً من عجزها عن القيام به .

وصلَت إلى المنزل الذي تعيش فيه مع «سيك» المجرم الأثيم ، فوجدته صريع الحمتَّى فجلست إلى جانب فراشه تسعفه بما يطلب ، وهي نمَهُ موزَّع للأفكار والخواطر ، وللجزع والقلق الشديد .

وهبط المساء بسكونه وظلامه ، وتضافر النوم والحمتّى على «سيك » ولا سيا المخدّر الذى ستمته إياه « نانسى » فغرق فى غيبوبة طويلة ، فأقبلت « نانسى » عليه بعد قليل ، وهزّته فما أفاق ، فقبلته فى جبينه وخرجت من المنزل ، وأخذت تذرّع الشوارع حتى وصلت إلى حى من الأحياء الرّاقية ، ووقفت عند منزل من منازل السرّاة .

اقتربت من باب المنزل وطرقته فى خوف وحذر ، ففتح لها خادم "أنيقُ البزّة ، فطلبت منه أن تقابل الآنسة « وردة » فترد د الحادم طويلا وهو ينظر إلى الثياب الزرية التى ترتديها « نانسى » فما كانت سيدته ممن يقابل أمثال تلك الفتيات ، وبعد إلحاح وإصرار ، وتوسل وتضرع ، كانت « نانسى » فى حضرة الآنسة « وردة » .

ولم تكن الآنسة « وردة » إلا تلك الفتاة التي استضافت « أوليڤر » في بيتها الريفي الجميل ، وحنت عليه حنو الأم على طفلها ، وكانت هي والأسرة ومن معها من خدم قد انتقلوا في مطلع الشتاء إلى « لندن » وانتقل معهم بطبيعة الحال صاحبنا « أوليڤر »

عجبت الآنسة « وردة » من مظهر الفتاة « نانسي » ومن إصرارها على مقابلتها ، فقالت لها بلهجة كلها رقّة ولطف وعذوبة :

\_ « أنا " وردة " يا آنسة فاذكرى حاجتك » .

فغلب الاضطراب على « نانسي » وطفقت تبكي وتنتحب ، والآنسة الاضطراب على « نانسي » وطفقت تبكي وتنتحب ، والآنسة

« وردة » ترطب خاطرها حتى تغلَّبت على اضطرابها وقالت :

- « أنا يا آنسة تلك الفتاة التي حملت " أوليڤر " إلى عصابة اللصوص والمجرمين . . . إن جرمى عظيم ، ولستُ أدرى هل يمكنَّنني الله من التَّكفير عنه . . . » فقالت « وردة » مده وشة :

« أنت ؟ وكيف طاوعك قلبك على ذلك! » فقالت « نانسى » :

- « وأنا يا سيدتى التي عُهد وليها في اصطحابه إلى الأثيم الأكبر الذي سطا هو واثنان من زملائه اللصوص على منزلك في الريف . . . »

... « وما فائدة هذا الاعتراف يا آنسة ؟ »

- « ارحميني يا سيندتي يرحمك الله ، فأنا أعيش في عذاب ألم من وخز الضمير ، ومن حياة أجرار أثقالها بين طغمة من الأشرار . . . »

- « وما الذي يحملك على البقاء بين هؤلاء الناس؟» فقالت « نانسي »:

- « لو فارقتهم قتلونى شرَّ قتلة ، اللهمَّ إلا أن أشي بهم وأكشف أمرهم فيكون جزاؤهم أعواد المشانق ، وفى مقدمتهم رجل لا أستطيع عنه افتراقاً . . . ارثى لحالى يا سيدتى واشكرى الله أن رَعَت السماء طفولتك وحداثتك وأحاطتك بحنان الأهل وبر الوالدين . . . »

فدمعت عينا الآنسة « وردة » وفعل كلام الفتاة فى نفسها فعالمه ، وشرد ذهنها يفكر فى مصائب الناس وأحوال الأشقياء التاًعسين ، ولكن « نانسي » انتشلتها من تفكيرها وهي تقول :

.. « تحدَّ يَتُ الأخطار يا آنسة ، وجئتُ أعلمك بأشياء تتعلَّق بالغلام" أوليڤر" فقد يستفيد منها ويكون فى ذلك كفَّارة لى وراحة بال... أتعرفين رجلاً يدعى " مونك " ؟ » فقالت « وردة » :

## ـ « كلا! » فقالت « نانسي » :

- « إنه إذن الاسم الذى يتنكسَّر به فى عصابتنا . والرجل يعرفك ويعلم أنك فى " لندن " وقد سمعته يدلى بعنوانك ، فاستطعت أن أهْرَعَ إليك . . . لقد استرقت السَّمْع ذات ليلة إذ كان يتحد ّث مع زعيم العصابة ، وهو يهودى عجوز يدعى " فاجن " فعلمت أنه وعده بمبلغ من المال إذا عثر على الغلام " أوليقر " وجعل منه لصَّا أثيماً » .

- « ذاك طلب عجيب! » فاستأنفت « نانسي » الكلام وقالت:

- « وعاد أمس إلى الزعيم واختليا معاً ، وتلصّصت عليهما وسمعت " فاجن " العجوز يقول له : " وهكذا تخلصت من الدليل الوحيد الذى يثبت هوية الغلام ورميته فى أعماق النهر . . أم المرأة العجوز التى تسلمت ذلك الدليل من أمه فهى من سكان القبور . . . " وسمعت الرجل يجيبه : " أجل وحبّدًا لو نقدر أن نجرّر الغلام فى سجون "لندن" ، حتى إذا ظهرت يومنًا صورة للوصية التى كتبها والده لم يستطع أن ينتفع بها . . . » فقالت « و ردة » :

ـ « ما معنى هذا الكلام ؟! » فقالت « نانسي »:

66666666666 11 99999999999999

- « لستُ أدرى يا سيّدتى ، ولكننى سمعته بعد ذلك يقول لليهودى العجوز : إن جميع الأشراك التى نصبتها فى حياتك لا تعادل الشّرك الذى سأنصبه فى تصيّد أخى الصغير " أوليڤر " » فصاحت « وردة » :

## -- « أهو أخوه ؟! » فقالت « نانسي » :

-- « هذا كلامه بحذافيره يا سيدتى . . . ثم إنّه عندما تحدّث عنك وعن السيدة العجوز التى تعيشين معها وتدعينها خالتك ، قال إن السهاء والجحيم يتآمران عليه ما داما قد ساقا الغلام إليك ، ولكنه عاد فضحك طويلاً وقال : آه لو تدرى" وردة " مَن ذلك الغلام الذى تُؤويه ؟ » ونهضت « نانسى » تريد الانصراف فوقفتها « وردة » وقالت :

- « وماذا عساى أن أفعل بهذه الأشياء ؟ وكيف أستفيد منها ؟ ومي أراك ثانية أو أين ألقاك ؟ » .

- « استشيرى يا آنسة أحد النُّصَحاء المخلصين . . . أما أنا فسوف تجدينني على جسر " لندن " في مساء كل يوم أحد من الساعة الحادية عشرة إلى منتصف الليل ، هذا إذا بقيتُ على قيد الحياة ! » .

وشاءت الآنسة « وردة » أن تنفح « نانسي » ببعض المال ، فأبت هذه كل الإباء ، فاقتربت « وردة » منها وشدّت على يدها متأثّرة شاكرة ، فاغرورقت عينا « نانسي » بالدموع ، فتلك هي المرة الأولى التي يصافحها فيها إنسان شريف مستقيم طاهر الذّيل . . .

هو ابن الحالة التي تعيش معها ولكنها ترد دت في استدعائه إليها لأسباب عاطفية لا تريد إثارتها ، فما زال الفكر يطرحها كل مطرح حتى غلب عليها النّعاس والتعب فنامت . ونهضت في الصباح مهمومة ، وعادت إلى نفكيرها وقضت فيه ساعة أو ساعتين ، وإذا بالغلام « أوليڤر » يدخل عليها مضطرباً وكان قد عاد من نزهة في شوارع « لندن » صحبه فيها « جيل » فخفيت إليه « وردة » وقالت ":

- « مابك يا" أوليقر "؟ ماهذا الاضطراب؟ » فصاح وهو يملهمت أن الذي المريم الذي المريم الذي المريم الذي كان قد استضافي عنده . . . . وأيت السيد " براون " . . . »

« وأين رأيته ؟ »

- « رأيتُه فى أحد الأحياء وقد نزل من المركبة ودخل المنزل ، فغلبنى الاضطراب فلم أستطع أن أهرَع إليه ، غير أن " جيل " قد سأل عنه فعلم أن هذا مسكنه وإليك العنوان » . ودفع « أوليڤر » إليها بورقة كتب فيها عنوان السيد « براون » فقرأتها وقالت :

-- « سأصحبك يا " أوليڤر " إلى هذا السيد الكريم ، ولكن أمهيلنى قليلاً من الوقت حتى أرتدى ثياب الحروج ، وأخبر خالتى بأننا ذاهبان إليه » .

وما هي إلا دقائق معدودات حتى كانت الآنسة « وردة » و « أوليڤر »



9

كان الليل قد انتصف عندما دخلت الآنسة « وردة » غرفتها ، والاضطراب يقيمها وينقعدها ، فقد سمعت من الفتاة « نانسي » أشياء أذهلتها وعصفت بقلبها ، فاستلقت إلى سريرها لعل النوم ينقذها من شوران نفسها وقلقها البالغ ، ولكن هيهات . . . استعرضت في خاطرها الأشخاص الذين تستطيع أن تبوح لهم بذلك السر الحطير ، فما قر قرارها على واحد منهم فبدأت أولا بطبيب الأسرة ، وكان في ضيافتها ، فقد دعته أن يصحبهم إلى أحد شواطئ البحر ، وكان السفر منقرراً بعد يومين ، فلم ترتح إلى مباحثته بهذا الأمر لما تعرفه من طبعه الجاف ، وموين ، فلم ترتح إلى مباحثته بهذا الأمر لما تعرفه من طبعه الجاف ، فسوف يرى في كل هذا أضغاث أحلام ، وتذكرت فتي يدعى « هنرى » فسوف يرى في كل هذا أضغاث أحلام ، وتذكرت فتي يدعى « هنرى »



يستقلان المركبة فى طريقهما إلى منزل السيد « براون » فلما بلغاه قالت الآنسة « وردة » للغلام :

- ( ابنَّقَ أنتَ في المركبة لأمهلُّد لك سبيل اللقاء » .

ونزلت الآنسة و وردة ، من المركبة وسارت تواً إلى المنزل ، وكانت بعد قليل وجهاً لوجه مع السيد و براون ، فتطلُّعت فيه فإذا هو رجل وقور جميل السياء ، قد وخط الشيب رأسه فادرته قائلة :

- و جثتُ يا سيدى أحد ثك عن غلام كنتَ قد غمرته فيا مضى بعطفك وحنانك . . . عن غلام اسمه " أوليڤر تويست " »

فاهتز الرجل عند سماعه هذا الاسم وقرأت الآنسة « وردة » في عينيه الأسف والأسى ، فعلمت أنه ينضمر له في قلبه ذكرى أليمة ، فقصت عليه قصة الغلام دون أن تذكر له شيئنًا عمّا باحت لها به الفتاة « نانسى » ، فضاعت قسهات السيد « براون » فرحاً وقال :

- ( وأين هو الآن ؟ هلاَّ جئتيني به يا آنسة ! » فقالت :

- • إنه في المركبة على مقربة من الباب ينتظر الأمر بالدخول »

وأسرع السيد ( براون ) ينزل درج السلم أربعاً أربعاً ، وعاد بعد قليل ممسكاً بيد ( أوليڤر ) والدنيا لا تسعه من شدة الفرح ، ثم نادى مديد المنزل ، فجاءت دون أن تعلم أية مفاجأة تنتظرها ، فلم يكد بصرها يقع على ( أوليڤر ) حتى هجمت عليه توسيعه تقبيلاً

وتركت الآنسة « وردة » المدبّرة العجوز و « أوليڤر » يتناجيان ويتبادلان القُبُلات ، وطلبت إلى السيد « براون » أن تحدّثه على انفراد ، فأطلعته على كلّ ما علمت من الفتاة « نانسي » فساورته من تلك الأنباء دهشة مشوبة بالقلق ، وتطوع أن يفاتح هو طبيب الأسرة وخالتها بالأمر ، ويتشاوروا جميعًا في هذه المسألة الخطيرة .

ولم يُضع السيلة « براون » الوقت ، فصحب الآنسة « وردة » إلى منزلها ومعهما « أوليڤر » وهناك تبادل الرأى مع الطبيب فكان من رأى هذا إبلاغ رجال الأمن بالحادث بل بالحوادث ، ووضع الأمر فى أيديهم ، غير أن السيد « براون » لم ير هذا الرأى وقال :

- « لو شنق هؤلاء المجرمون كلتهم لضاع الأثر الذي يجب أن نسعى إليه ، وهو معرفة أهل " أوليقر " والتمكنّن من استرجاع ميراثه... ويخينًل إلى " أن مفتاح هذه الأسرار كلها هو المسمى " مونك " فلو شكوناه إلى السلطات ما فُرْنا بكبير طائل ، فليس في يدنا أي دليل على أنه من رجال هذه العصابة ... وهبّه حكم عليه بالسجن بتهمة التشرد ، فسوف يغيب سره معه في غياهب السجون ، فالرأى أن نحتال للقبض عليه حين يكون محاطاً برجال العصابة ، وذلك دون إبلاغ رجال الشرطة ... وليس يكون محاطاً برجال العصابة ، وذلك دون إبلاغ رجال الشرطة ... وليس الأحد » .

6666666666666666 1.1 333333333333333

وافق الطبيب والآنسة « وردة » وخالتها على هذا الرأى، ولكن الطبيب اشترط أن يستشير فى الأمر صديقاً حميماً له يتكل على حصافته وحسن رأيه ولم يكن ذلك الصديق إلاالسيد « هنرى » ابن خالة الآنسة « وردة » فلم يمانع السيد « براون » ولا الآنسة « وردة » وإن اصطبغ وجهها بكثير من الاحمرار .

كان اليوم ُ يوم الثلاثاء ، فانتظروا جميعاً يوم الأحد بغارغ الصبر ، وعندما دقيّت الساعة الحادية عشرة تناولت « نانسى » قبعتها وهميّت بالحروج وكان « فاجن » اليهوديّ العجوز في منزل « سيك » يتجاذب وإيناه أطراف الحديث ، فلفت نظره أن « نانسي » تهم بالحروج فقال « سيك » حانقاً :

- « ما هذا الجواب؟ قولى إلى أين أنت ذاهبة؟ » فقالت ( نانسي»:
- « لا أعرف إلى أين تصل بي قدماى ... قلت إلى لن أغيب طويلاً » . فقال « سيك » :

- « كلا ً لن تخرجى . والويل لك إن خالفت أمرى » . فاستشاطت « نانسي » غضباً وصاحت بأعلى صوتها :

- « دَعْنَى أَخْرِج، فروحى تكاد تُزُهْنَ في هذا المنزل ... إنى في حاجة إلى استنشاق الهواء! » ومشت إلى الباب تحاول الحروج، غير حافلة بنهى « سيك » فهجم عليها هجوم الرحش الضاّرى، وجذبها عن الباب، ورمى بها إلى داخل الغرفة ، فوقعت إلى الأرض وهي تصرخ من الألم

وسر اليهودى العجوز أن يرى « سيك » يستخدم سلطانه على الفتاة ولو بطريقة وحشية ، فقد كان منذ تصد ت للد فاع عن الغلام « أوليڤر » تخامره الظنون في إخلاصها للعصابة فقام وحياً « سيك » وشفع تحيسته بنظرة أقراً ه فيها على عمله وعد وانه ، وقفل راجعاً إلى منزله

غير أنه لم يسلك الطريق المؤدى إلى منزله ، بل عرَّج على حانة حقيرة مزدحمة بالمتسكعين واللصوص ، واختار منهم واحداً يسميّ « وليم » وعهد إليه في مراقبة الفتاة « نانسي » وإبلاغه عن حركاتها وستكناتها خارج منزلها ، وعن الأشخاص الذين تقابلهم أو تحدّثهم ، وأوصاه أن يجهد في سماع أحاديثها معهم

وقضى و وليم ، ستة أيام مسمتراً فى مكانه على مقربة من منزل ونانسى ، متنكراً فى زى حَمال ، فذهبت مراقبته سداى ، فا خرجت الفتاة من المنزل ولا حتى أطلت برأسها من إحدى النوافذ وفى اليوم السابع وكان يوم أحد ، شهد وسيك ، يخرج قبريل العصر ، ويسير فى عكس الشارع الذى كمن فيه ، وهو مطرق الرأس مشغول الذاهن ، فلمع

6666666666666 1·1 999999999999999

بصيص من الأمل فى قلب الرقيب ، وتوقع أن يرى و نانسى ، تغادر المنزل بعد قليل ، ولكن خاب ما توقع فقد مرت ساعات طويلة وباب المنزل مُنفلَق على مصراعيه ، ولم يتخط عتبته أحد من البشر ، حتى إذا أشرفت الساعة على الحادية عشرة ، انفتح الباب وخرجت منه و نانسى ، وسارت فى اتجاه مكمنه ، فشى فى ذلك الاتجاه متمهلا وتركها تسبقه ببضعة أمتار ، ثم تبعها فى حرص شديد خوف أن تفلت منه أو تغيب عن أنظاره .

ودامت المطاردة نحو خمس وأربعين دقيقة ، وصلت و نانسي » بعدها إلى جسر و لندن » فوقفت قليلاً تجيل بصَرها في أطراف الجسر ، باحثة مدقيقة ، كأنها على ميعاد مع بعض الأشخاص ، واستطاعت أن ترى في ذلك الظلام الدامس رجلاً وامرأة واقفين عند منتصف الجسر ، ومستندين إلى درابزونه يحدقان في كل من يجتاز الجسر كأنهما هما أيضًا على موعد مع أحد القادمين . ولم تفت الجاسوس حركات الأشخاص الثلاثة ، فتبع و نانسي » مسرعًا واقترب منها عندما رآها قد وصلت إلى المرأة والرجل وسمعها تقول لهما :

- « لا أستطيع أن أحد ثكما هنا فتعاليا إلى تتحت الجسر » .
فسبقهم الجاسوس ، ونزل درجات السلم المفضى إلى ما تتحت الجسر ،
واختبأ وراء جدار من الجدران. وأقبل الثلاثة الآخرون فوقفوا غير بعيد

المحدد المح

- منه ثم قالت المرأة للفتاة « نانسي » :
- « لقد انتظرناك عبثاً يوم الأحد الماضي فلم تحضري »
- لم أستطع الحضور ، فقد منعنى من الخروج وضربنى ضرباً
   مبرّحاً » . فقال الرجل :
- ــ « من هذا الذي يضرب النساء ويمنعهن من الحروج ؟ » فقالت:
- ـــ ( لقد حدّثت عنه الآنسة '' وردة '' فهى تعرف أيّ سلطان له على ' ، فقال الرجل :
- ــ رحسناً . لنقتصد في الوقت. مطلبُنا يا آنسة أن تدلينا على هذا الله يسمى "مونك" فيخيل إلينا أنه مفتاح سر القضية المتعلقة بالغلام».
  - « وهمَّبُه أصرَّ على الصَّمْت . . . » فقال الرجل :
  - « لا بداً إذن أن تدلّينا على زعيم العصابة اليهودي العجوز » فارتجفت « نانسي » ثم قالت :
- « حَدَارِ يَا سَيْدَى ! إنه أحد أبالسة الجحيم ... على أنى أرجو أن تذكر الآنسة وَعُدَهَا إِيَّاى بأن يبقى رجال الأمن والقضاء بعيدين علا تسعون فيه ، فأنا والرجل الذى أعيش معه سنكون أوّل من يُشنْنَق لكُمْرة ما اجترمنا من جرائر » . فقالت الآنسة « وردة » :
  - ( لم أنس الوعد ولن أنقضه » .

وأخلت « نانسي » تصف لهما الحانة التي تعود « مونك » أن يرتادها ،

**6**66666666666 1 • A 22222222222

وتذكر لهما شكله وصفاته البدنية وعلاماته المميزة ، فكان الرجل يستمع لها وهو بادى الاضطراب ، وأتمنّت « نانسي » حديثها ، وكان كله أشبه بالهمس بحيث غاب بعضه على الجاسوس المتلصّص المسترق للسّمّع وقالت : « هذاك علامة " فادقة تساعل على مع فنه ... ففر أعلى عنقه ... »

« وهناك علامة " فارقة تساعد على معرفته . . . ف أعلى عنقه . . . . ف أعلى عنقه . . . . ف أعلى عنقه . . . . فقاطعها الرجل قائلا " :

« لطخة حمراء من أثر احتراق ... » فقالت « نانسي » مدهوشة :
 — « أجل . . . أتعرفه يا سيدى ؟ » فتنهلد الرجل وقال :

« إن الأوصاف التي ذكرتها عنه ، تجعلني أعتقد أنى أعرفه ...
 ولكن قد يتشابه الناس » . وسكت الرجل قليلاً ثم قال :

« لقد خدمْتينا يا آنسة خدمة جُللًى فهاذا نكافئك ؟ »

- « أشكرك يا سيدى ... إن راحة ضميرى هي المكافأة الكبرى » . فقال الرجل بلهجة كلها رقدَّة وحنان :

- « إنى لألمح صفاء كنسك يا آنسة فإن كنت أخطأت فيا مضى فلا تزال لديك فستحة للستقبل تكفرين فيها عن أخطائك ، وتعيشين حرة كريمة شريفة . . . فتعالى معنا الآن ، وقبل انبلاج الفجر نبعتك إلى بلد قصى تختارينه من بلاد العالم ، ونزودك بالمال والرعاية . . . » فقاطعته « نانسي » قائلة وهي تكاد تنتحب :

- « شكراً لك يا سيدى وألف شكر . . . لقد خطوت في حياتي

6666666666666 1·1 222222222

من مشاكل لن تقف عند ضياع مغنمه ، بل قد تتعدّاه إلى تعريضه خطر السجن والمشنقة . وتطلَّع عَرَضًا إلى باب الغرفة فرآه قد انفتح ، ودخل منه « سيك » متجهم الوجه ، ثائر النفس ، فاستهل كلامه مع العجوز بصوت يقصف قصف الرعد وهو يقول :

- « أين نانسي » ؟ فقال اليهوديّ العجوز :

- « أَنَا أَحَقُ مَنَكَ بِهِذَا السَّوْالَ . . . أَلْيَسَ تَعَيْشُ مَعَكُ تَحَتَّ سَقَفِ وَاحَد ، فَكَيْفَ فَرَّطَت في مراقبتِها ؟ » فقال « سيك » :

- « حَذَارِ أَيَّهَا العجوز الوَقِحِ من غضبي وانتقامي! إنك تتآمر و " نانسي " على "، ولكنك تعرفي حق المعرفة وتعلم أن القتل أسهل ما ترتكبه يداى ، فالويل لك من انتقامي » . فقال اليهودي العجوز : - « عَدَ عَنهذا الغضب ، واعلم أن "نانسي " تتآمر علينا جميعًا ، وسوف تجر أنا إلى حبال المشانق » . فقال « سيك » وقد ازداد هياجه وغضبه :

« أنت كذّاب أشير أيَّها العجوز اللئيم . . . »

- « أأنت قادم " الآن من منزلك ؟ » فقال « سيك » :

- « كلا! ولكننى عرّجتُ على المنزل بعد منتصف الديل بقليل ، فا وجدت " نانسى " فيه وقد حرّمت عليها الحروج منه » . فقال اكيهودى العجوز فى هدوء مُرْعيب قاتل :

- « سأبرهن ُ لك على أنى لستُ الكذَّابِ الأشر ، وسأجعلك تقتنع ـــ « سأبرهن ُ لك على أنى لستُ الكذَّابِ الأشر ،

الأثيمة الخطوات الفيساح، فلاسبيل إلى النّكوص». وشاءت الآنسة «وردة» أن تقدّم لها صُرّة من المال ، فاعتذرت « نانسي » عن قبولها وقالت :

- « سامحینی یا سیدتی إن أنا اعتذرت عن قَبَول مِنْحتك الكريمة ، فا قمت به بُغْيمة آكتساب بعض المال ، ولكن حسبي أن تهمبيني قُدُمّانك أو منديلك ، أحتفظ به مدى الحياة أثراً كريمًا من نفس كريمة » .

فخلعت الآنسة « وردة » قُهُازها، وأعطتها إياه، ثم ود عنها وتأبيطت ذراع الرجل الذي كان يصحبها ولم يكن إلا السيد « براون » وانصرفا وبقيت « نانسي » هنيهة وهي تُجهش بالبكاء ، ولكنها رجعت إلى نفسها بعد قليل وصعدت درجات السلم إلى أعلى الجسر ، ولقد انتظر الجاسوس حتى تبتعد ، فبرح مكمنه وطار إلى منزل اليهوديّ العجوز والدهشة تملأ جوانحه .

وكان اليهودى العجوز قابعاً فى منزله لم يغمض له جمَه ن ، وهو يترقب عجىء الجاسوس ، لينفض له ما رأى وما سمع ، وكانت هذه حاله طول الأيام السبعة الماضية ، ولشداً ما اضطرب فرحاً أو ترحاً عندما وفد عليه جاسوسه فى تلك الساعة المتأخرة من الليل ، وبسط له خبر اجتماع « نانسى » تحت جسر « لندن » برجل وسيدة كانا فى انتظارها ، وأطلعه على جميع من أحاديثهم ، فشكره اليهودى العجوز ووهبه الجنعل المتنفق

عليه ، وسمح له بالنوم فى الغرفة المجاورة ، والبقاء فيها حتى الصّباح . وخلا اليهوديّ العجوز إلى نفسه يعمل الفكر فها سبتّبته له « نانسي »

**6**666666666666 11. 99999999999999



١.

غربت الشمس ُ ذات مساء ، فوقفت مركبة من مركبات الأجرة عند دار السيلد « براون » فنزل هذا منها ، ونزل بعده رجلان بل عملاقان ، وهما قابضان على ذراعى رجل ثالث ، فأدخلاه عَنْوَةً إلى المنزل . ولم يكن هذا الرجل الثالث إلا « مُونك » .

دخل « مونك » المنزل مكرهماً ، وقاده السيد « براون » إلى مكتبه ثم قال يخاطب العملاقين الواقفين إلى جانبه :

- « اتركانا وحدد كنا ، وقفا عند الباب وكونا على مسمع من صوتى » . فنفلًذ الرجلان أمر « براون » فما كادا يخرجان حتى قال « مونك » : - « يدهشني يا سيدي وأنت صديق قديم لوالدي ، أن تعاملني

6666666666666 111 3333333333333333

أن " نانسي " ستُودي بنا جميعاً إلى التَّهلكة . . . »

وانفلت إلى الغرفة المجاورة ، وأيقظ جاسوسه ، ثم جاء به وهو يفرك عينيه من شدّة النّعاس ، وقال له بلهجة الآمر النّاهي :

- «قل لصديق "سيك "كل ما أخبرتني به عن "نانسي "وعن أحاديثها مع من لقيتهما الليلة تحت جسر "لندن "ولا تُعخف منها حرفاً واحداً ». فكر رالجاسوس الرواية التي كان رواها لليهودي العجوز، فلم يكد يصل إلى نهايتها حتى استدار «سيك» على عقبسيه ، وخرج مسرعاً ، قاصداً منزله ، فوجد «نانسي » تغط في النوم ، فأيقظها بجفاء وغلظة ، وشد عليها الناكير في السؤال والاستجواب، فما ردت عليه بجواب تقتنع به نفسه ، فوثب إليها وثبة الذاتب الغادر ، وشد على عنقها بيديه الأثيمين حتى فاضت روحها وانقلب جشة هامدة . . .



666666666666 111 99999999999999

بمثل هذه الخشونة والقسوة! » فقال « براون » :

- « أمًّا وقد ذكرتَ الصداقة القديمة التي كانت تربطني بوالدك ، فاعلم أن تلك الصداقة وذلك الأمل البسَّام الذي كان يملاً جوانحي في أيًّام الشباب، ويقرّبني من شقيقته التي اختارها الله إلى جواره في اليوم الذي كانت ستُزَفَّ فيه إلى " ، كل هذا قد جعلني أخلص له الود حتى مماته مع ما ارتكب من أخطاء ... وكل هذا يحملني اليوم على أن أرأف بك يا " إدورد ليفورد " وأتناسي أنك لطخت اسم والدك بالعار والشَّنار» . فقال « مونك » ( وسنبتي له هذا الاسم ) :

\_ « ثم ماذا ؟ » فقال : « براون » حزيناً أسيفاً :

\_ « إن لك أخاً . . . » فقاطعه « مونك » قائلا ً :

- « أنت تعلم يا سيدى أن ليس لى أخ ، وأنى وحيد أبورى آ . . »
- « أنا أعلم أننك وحيد أبويك من زواج شي تاعس ، وأنبهما
بعد عدة سنوات مملوءة بالشجار واليأس والحقد ، افترقا لأن مذهبهما
لا يسجيز لهما الطلاق ، فسعدت هي وكانت أصغر منه بعشر سنوات
بحياتها الحرة ، وشتى هو فعاش حزيناً جريح الفؤاد . . . » .

- « ما لى أنا وهذه الأنباء ؟ أيمنع ذلك أن أكون وحيد َ أبوى ؟ ! »
- « على رسلك ... سأتم حديثي وإن كنت لا تجهل ما سأقول ... تعرّف والدك إلى ضابط أرْمل كان له ابنتان إحداهما جمياة كالصباح

فى التاسع عشر من ربيعها ، والثانية لم تكن سنتُها تتجاوز السادسة ... وبعد سنة واحدة من ذلك التعارف أحب والدك الابنة الكبرى وأحبته ووعدها بالزواج . . . . »

ثم سكت لحظة واستأنف حديثه وقال:

- « وتُونِي في هذه الأثناء بمدينة "روما " نسيب شيخ تاركاً لوالدك كل ثروته ، فسافر إلى " روما " وأصيب هناك بمرض عنضال ، فلحقت به والدتك وكانت تقطن " باريس " وصحبتك معها إليه ، فتوفي والدك غداة وصولكما إلى المدينة ، ولم يترك له وصية فعادت الثروة كلها إلى والدتك وإليك » .

وهنا تنفَّس « مونك » الصُّعكاء ، وظن أن حديث السيِّد « براون » سينتهى عند هذا الحد ، ولكنه فوجئ بمحدَّثه يتابع كلامه ويقول :

- « وقبل أن يرحل والدك إلى " روما " جاء يزورنى ، وترك عندى صورة كان قد رسمها هو نفسه لشقيقته التى كنت سأتزوجها وكان الألم والندم قد هدًا ركنه ، وأخبرنى أنه ارتكب وزراً ثقيلاً يلطخ بالمعار سمعة أسرة كريمة ، وأنهى إلى أنه سيصفى ثروته وميراثه ويحولهما إلى مال سائل ويترك لك ولوالدتك جانباً منه ثم يهجر البلاد إلى مكان بعيد ، ثم وعدنى بأن يكتب إلى ويطلعنى على جميع أعماله . . . ولكنه لم يفعل وكانت زورته لى هى بيننا اللقاء الأخير . . . »

66666666666666 110 9999999999999

وعلى أن هذا الغلام أخى » . فقال « براون » :

- « لقد وقفتُ على الدليل منذ خمسة عشر يومًا فقط ... أنت تعلم أن لك أخًا ، وأنك تعرف هذا الأخ ، ولست تجهل أن والدك قد ترك وصيّة بشأنه ، ولكن والدتك قد أخفت تلك الوصية ، وأخبرتنك بذلك وهي تموت . . . كان هناك غلام . . . وهذا الغلام قد أثار شكوكك منذ اللحظة الأولى التي رأيت فيها ، ورأيت الشبه بينه وبين والدك . . . ثم ذهبت إلى مكان مولده ، وحصلت على الدليل ، ورميت به في أعماق النهر . . . أفتُنكر هذه الوقائع أينها اللص المنافق المتوارى وراء الظلام ، المتآمر مع الأوباش واللصوص والأوغاد ، يا من كنت سببًا في موت فتاة من عصابتكم تساويك ألف مرّة . . . أنتحد انى بعد يا إدورد ليفورد "؟! »

فامْتُهُم وجه « مونك » وخارت قُواه وقال :

- « لستُ أنا الذي قتلها! » فصاح فيه « براون » :

— « أتذكر الشّبح الذى رأيته فى يوم من الأيام وأنت تحدّث شريكك فى الإثم اليهودى العجوز ؟ لقد كان شبح الفتاة الكريمة التى تسمنَّى " نانسى " فقد سمعت ما دار بينك وبينه من حديث ، وهى التى سمعتك مرّة أخرى تقول لذلك المجرم العجوز إنك رميت الدليل على نسب الغلام فى أعماق النهر . . . لقد حرّكتها الشَّفقة بالغلام ورجعتها إلى طريق الفضيلة ، ولكن صديقها الوحش قد كتمَ أنفاسها ، فأنت المسؤول عن الفضيلة ، ولكن صديقها الوحش قد كتمَ أنفاسها ، فأنت المسؤول عن

66666666666666 11V 99999999999999

واستراح السيد « براون » قليلاً ثم قال :

- « ونعاه النَّعاة ، وانتشر خبر موته ، فقصدت بعد مدّة وجيزة إلى مسرح حبّه الأثيم فعلمت أن أسرة الضابط قد هجرت المدينة منداً أيام ثلاثة ، وليس من عرف إلى أين اتنّجهت . . . » فتبسم « مونك » منتصراً واستأنف السيد « براون » الحديث وقال :

روليًا رمى القدر أخاك فى طريقى غلامًا هزيلاً يرتدى الأسمال ، آويته ورعيته ، وأدهشنى الشبه الذى رأيته بينه وبين الصورة التى تركها والدك عندى . . . ثم اختطف من عندى وأنت تعلم كيف اختتطف ولماذا اختطف ؟ » فقال « مونك » فى شىء من العناد والوقاحة :

- « المهم " يا سيلًد " براون " أنك لا تمتلك دليلا واحداً أدان به . وإنتي أتحد اك أن تبرز ذلك الدليل ! " فقال « براون » واثقاً مطمئناً : - « سوف نرى . . . فاسمع الآن بقية الحديث . . . كنت أعلم أن والدتك قد توفيت ، وأنك أنت وحدك من " يستطيع أن يميط اللثام عن نسب الغلام . . . فبحثت عنك ، فعرفت أنك رحلت إلى الهند الشرقية ثم عدت منها ، ولكنني لم أستطع أن أعرف عنوانك في " لندن " فقد قيل لى إنك متنقل " من مكان إلى مكان ، فلاتدرى إلا مع عشرا السوء كما كنت في حداثتك ومطابع شبابك » . فقال « مونك » متضايقاً : السوء كما كنت في حداثتك ومطابع شبابك » . فقال « مونك » متضايقاً :

- « واليهوديّ العجوز ؟ » فقال الطبيب :

- « يجد " رجال الشرطة فى البحث عنه وسوف يعتقلونه لا متحالة » وخرج « براون » والطبيب من الغرفة وأقفلا على « مونك » الباب وأخذا يتشاوران ويتبادلان الرأى . . .

وبعد أينام ثلاثة ، استقل الطبيب و « أوليقر » والآنسة « وردة » وخالتها إحدى المركبات الحاصة في طريقهم إلى مسقط رأس «أوليقر»، في حين استقل اليها السيند « براون » مركبة من المركبات العامة ، يصحبه رجل لم يصرح باسمه . وكان «أوليقر » في حال من الذهول والاضطراب لرزم معهما الصدت الطويل ، وشاطره ذلك الصمت كل ركاب المركبة ، وعندما وصلوا إلى المدينة التي ولد فيها «أوليقر » اهتاجت الذكريات في فؤاده ، فطفتي يحد ث الآنسة « وردة » ، ويدلنها على ما يعرف من معالم المدينة : فهذا ملجأ البر الذي ولد فيه ، وهذه دار رعاية الطفل التي عاش فيها ، وهذا حانوت صانع التوابيت الذي عمل عنده وهذا وهذا . . .

وكان المساءُ قد بدأ يلفُ الكونَ بردائه ، فوقفت المركبة عند أحسن فندق في المدينة فنزلوا منها واحتلَ كلُ منهم غرفته في الفندق . وقبُبينُ الساعة التاسعة ، وصل السيد « براون » في صحبة رجل غريب فما كاد « أوليمُر » يراه حتى صاح صيحة الدَّ هيش فقد تذكر أنه رآه مرّة يرود حول المسكن الريفي الذي عاش فيه ناعمًا سعيداً في صحبة الآنسة « وردة »

إزهاق روح هذه المسكينة ... ، فصاح « مونك ، مضطرباً :

- « لا . لا . لست أدرى شيئًا همًّا حدَث ، ولا أعرف سبب قتلها . . » فقال « براون » مهدّداً متوعّداً :

- « السَّب هو أنها باحت ببعض أسرارك ، أفستعد أنت أن تبوح بجميع أسرارك ؟ » فقال « مونك » متخاذلا ً :

- « نعم » . فقال « براون » :

- « أَتَقَّبِلُ أَن تَكتب اعترافك بخط يدك ، وأَن تُسْهِد عليه الشهود ؟ » فقال « مونك » :

" نعم أقبل " ، فقال « براون » :

- « اجلس إذن إلى هذا المكتب ، وابدأ بالكتابة ، وحينا تفرغ من اعترافك فسوف أسير بك إلى حيث تشهد عليك الشهود . . . واذكر أن عليك واجباً أعظم وهو أن ترد إلى غلام برىء ميراثه الكامل . . . وأعتقد أنك لم تنس نصوص الوصياة ، فنفذ ها بحذافيرها ثم ارحل إلى حيث شئت من بلاد الله الواسعة » ؟

وما كاد « براون » ينتهى من كلامه حتى اقتحم عليهما الباب الطبيب صديق أسرة « وردة » وهو يقول :

- « لقد قبضوا على القاتل قاتل الفتاة " نانسي " أرشد رجال الأمن اليه كلبُ الحجرم فكان الأثر الذي تعقبوه فقبضوا عليه » . فقال براون ٠

وأسرتها ، ويُطيل النظر إليه ، ثم غادرت الأسرة الريف إلى « لندن » فلم تقع عينه عليه بعد ذلك ، فحدجه الرجل ببصره ، وصوّب إليه نظرة مملوءة بالحقد والكراهية .

واجتمع القوم في إحدى غرف الفندق ، وتصدّر السيّد « براون » في المجلس ، وكان في يده بعض الأوراق فقال يخاطب الجمع الحاضر :

- « إن على مهملة شاقلة يا سادة ، ولكن يجب أن أقوم بها ، فنى هذه الأوراق التى بيدى اعتراف هذا الرجل فى مسألة تهمنا جميعاً ، غير أننى حرصت على أن تسمعوا منه ذلك الاعتراف » .

ثم وضع « براون » يده على رأس « أوليڤر » وقال يخاطب ذلك الرجل الغريب وما هو إلا « مونك » :

- « هذا الغلام هو أخوك ... هو الابن غير الشرعيّ لوالدك " إدون ليفورد " وللمسكينة " أنييس فلمنج " التي ماتت بعد ولادته بدقائق . . أليس كذلك ؟ » فقال « مونك » وهو ينظر إلى « أوليڤر » الذي كادت تُسمع دقيّات قلبه :

ــ « نعم » . فقال « براون » :

\_ « وهذا الغلام مولود" في هذه المدينة أليس كذلك ؟» فقال « مونك »:

« أجل فى ملجأ البر والإحسان . . . » ثم قال يخاطب الجمع الحاضر وهو يشير إلى الأوراق التى يحملها السيد « براون » :

666666666666 N. 99989999999

\_ « إن في هذه الأوراق القصّة بحذافيرها فحسّبك ذلك » فقال « براون » :

- « نريد أن نسمعك تقصّها علينا » . فأذعن « مونك » وقال :
- « مرض والدى وهو فى " روما " فلحقت به أى وصحبتنى إليه معها ، وكان الموت قد بدأ يدب فى جسمه فلم يعرفنا ، وتوفّى فى اليوم التالى ، وكان بين أوراقه ورقتان وضعهما فى ظرف وعنونه باسم السيد " براون " وأوصى أن لاير سل إليه إلا بعد مماته ، فالورقة الأولى كانت رسالة إلى " أنييس " والثانية وصية » . فقال « براون » :

. ... « وماذا كان في الرّسالة ؟ » فقال « مونك » :

- « اعتراف منه بأنه خدعها ولكنه ذكر لها أن هناك بعض الموانع كانت تحول دون زواجهما العاجل ، ثم طلب منها في الرسالة أن لا تحقد عليه إذا مات ، وأن تغفر له جريمته ، ثم ذكرها في الرسالة باليوم الذي أهداها فيه حلية ذهبية على شكل قلب ، وخاتماً نقش عليه اسمها الأول مؤملا أن تمكنه الأقدار من أن يضيف إليه اسم العائلة ، ورجاها أن تحتفظ بالخاتم والحلية وتضعهما دائماً فوق قلبها » . فقال « براون » وقد رأى « أوليقر » يشهق ويبكى :

- « وعلام احتوت الوصّية ؟ » فالتزم « مونك » السكوت فناب « براون » عنه وقال :



- « احتوت أو لا على وصف الأشجان التى سبنها له زوجته الشرعية ، وعلى الأميال الشريرة التى لمسها فيك أنت ولده الوحيد الذى ربى على حقد والده وكراهيته ، وتضمنت ثانيا ميراثا تركه لك ولوالدتك وقدره ثما نمائة جنيه فى السنة ، ثم قسم ثروته قسمين خص أحدهما بالفتاة "أنييس فلمنج " وخص الثانى بالولد الذى ستلده ، ونص على إعطاء المولود ذلك النصيب بلا شرط ولا قيد إن كان أنى أما إن كان ذكراً فيعطى نصيبه عندما يبلغ سن الرشد ، على شريطة أن لا يكون قد لطنخ اسمه بأية وصممة من وصمات العار والحبن والحيانة ، وإلا عاد الإرث كاه إليك .. » فقاطعه « مونك » قائلا " :

- « وقامت أمتى بما تقوم به كل " أم " في مكانها، فقد أحرقت الوصية ، ولم ترسل الرسالة إلى صاحبتها بل احتفظت بها... وهجر والد " أنييس " المدينة هو وأسرته وتوفتي بعد قليل ، أما ابنته الكبرى فهر بت قبل ذلك ببضعة أسابيع وطافت المدن والقرى مشيبًا على الأقدام ... » وسكت « مونك » واستأنف « براون » الحديث قائلاً :

— « بعد عد"ة سنوات زارتنى والدة "إدورد ليفورد" أى والدة هذا الشرِّير الماثل أمامنا . . . وأخبرتنى أن ولدها هجرها وهو فى الثامنة عشرة من عمره ، بعد أن سرق مالها وحليها وجواهرها ، وخسر كل ذلك فى القمار ، فمال إلى النصب والاحتيال والته وير ، ومعاشرة اللصوص والسُّر اق ،

وكانت مصابة مرض خطير ومتحرقة شوقًا إلى لقاء ابنها ، فعثرنا عليه بعد جهد جهد جهيد، فرحلت معه إلى فرنسا » . فقال «مونك» متملًمًا الحديث:

- « ماتت هناك بعد عذاب شديد وآلام مبرّحة ، وقببَينل أن تلفظ أنفاسها ، باحت لى بسرها وور ثَمَّنى حقدها الدفين على "أنييس" وولدها ، وكانت مقتنعة بأن الفتاة لم تنتجر ، وبأنها ولدت غلاماً وهو حي يُرْزَق ، فأقسمت لها قائلاً : لئن لقيته يوماً لأعذ بنه عذاباً أليماً ، وألاحقنه بما استطعت من قُوى وجهد حتى أجعل منه لصاً سافلاً حليف المنكرات والموبقات ، ولو أدى ي الأمر إلى أن أدْنيه من حبل المشنقة ، فأقضى على روح تلك الوصية الزرية . . . وها أنا ذا قد لقيته في طريق ، وبدأت عملى فيا نويت له بداية طيبة ، وكد ت أصل إلى أمنيسي ولبازي لل الفتاة الثرارة التي تسمى " نانسي " » .

ثم أخذ « مونك » يقذف من فيه الشتائم واللَّعَمَنات ، في حين اندفع « براون » يشرح للسَّامعين الحطة التي اتَّفق عليها « مونك » واليهوديّ العجوز . والتفت « براون » بعد ذلك إلى « مونك » وسأله قائلاً :

« وكيف عثرت على الحلية والخاتم ؟ » فقال « مونك » :

« اشتريتُهما من الرجل والمرأة اللذين حدّثتك عنهما . وأنت تعرف أنتى رميتُ ذلك الأثر في أعماق النهر » .

فخرج « براون » من الحجرة وعاد بعد قليل يدفع أمامه السيلد « بمبل » فخرج « براون » من الحجرة وعاد بعد قليل يدفع أمامه السيلد « بمبل » فخرج « بم

وزوجته ، فلما صارا فى وسط الحجرة قال لهما مشيرًا إلى « مولك » :

— « أتعرفان هذا الرجل ؟ » فقالا معيًا :

\_ « كلا ! » فقال « براون » :

« ألم يبتع منكما شيئًا قط ؟ أوكم يكن في حوزتكما خاتم وحلية وحلية على شكل قلب فاشتراهما منكما ؟ » فقالا معيًا :

- « كلا . وألف مرة كلا » .

فخرج « براون » ثانية من الغرفة ، وعاد تصحبه امرأتان طاعنتان فى السن ، تكادان لا تقويان على المشى ، فما إن يقع نظرهما على زوجة « بمبل » حتى رفعت إحداهما يدها المرتجفة ولوّحتها فى وجهها وقالت :

- « لقد عُنيت بإقفال الباب يوم ماتت العجوز " سالى " ولكنك لم تستطيعي أن تسدى فتحاته، فسمعنا كل الحديث » وأردفت العجوز الثانية قائلة :

- « وفى اليوم التّالى تبعناك إلى بنك الرهون فرأيناك قد سلّمت منه خاتماً وحلية ذهبيّة . . . نعم تبعناك ورأينا كلّ شيء . . . و سلاً عن ذلك فإن المسكينة " سالى "كانت قد أخبرتنا قبل ذلك بزمن طويل ما أنهت إليها تلك الفتاة الصبيّة الجميلة . . . أخبرتها أنها كانت شعر باضمحلال قواها ، و بأنها لن تعيش طويلاً ، فكانت تنوى السّيّر ' ، باضمحلال قواها ، و بأنها لن تعيش طويلاً ، فكانت تنوى السّيّر ' ، حيث تموت على قبر الذي و هسبها ذلك الغلام . . . »

**466666666666 170 999999999999** 

## الخاتمة

وجرت خاتمة أشخاص هذه الرواية على ما يقضى به الحق والعدل والإنصاف، فحدُكم على «سيك »وعلى اليهودى العجوز بالشّنْق، قيصاصاً لهما على ما ارتكبا من آثام وجرائم، وعفت المحكمة عن الجاسوس «وليم» مكافأة له على إرشاد الشرطة إلى مخبأ اليهودى العجوز، ثم انتظم فى سلك الشرطة خادماً أميناً للأمن والقانون. وقسا القدر على جميع من استخدمهم اليهودى العجوز فى تنفيذ أغراضه، ممنّ غفلت عنهم عين العدالة فكانت عاقبة أمرهم أو خمّ العواقب. أما الغلامان « جاك » و « شرلو » فقضيا فترة من الزمن فى سجن الأحداث ثم خرجا منه وقد استقر فى ذهنهما أن الحياة الحرة العاملة هى ما يرفع قد ر الإنسان فى أعين نفسه والناس. فحجد الواجتهدا وكبرا فى ظلال الفضياة والاستقامة والعمل الشريف.

واستنكرت إدارة الملجأ ما قام به « بمبل » وزوجته فطُردا منه ، وقاسيا الهوان والذل وشظف العيش سنوات طويلة ثم انتهى بهما الأمر إلى سكنى الملجأ لاجتسَر ذلياين بعد أن كانا فيه المدبرين صاحبي الأمر والنهى والدلطان .

فلم يسَمَعُ « بمبل » وزوجته إلا الإقرار ، وهما مستنكران خيانة « مونك » فسُمح لهما بالانصراف . وشكر « براون » للعجوزين الطنّاعنتين فى السنّ شهادتهما الثمينة ، وأوصلهما إلى الباب مودّعنًا ، ثم عاد وأمسك بيد الآنسة « وردة » وقال يخاطب « مونك » :

\_ « أتعرف هذه الآنسة ؟ » فقال « مونك » :

- « نعم أعرفها . إنها شقيقة "أنييس" : فبعد موت أبيها ، و هَرَب أختها الكبرى ، احتضنتها أسرة فقيرة من الفلاحين ، ثم لقيتها اتفاقاً هذه السيدة الحاضرة بيننا فأعجبت بها ، وطلبت إلى تلك الأسرة الفقيرة أن تنزل لها عنها وهكذا كان ... » فصاحت السيدة الوقور مقتر به من « وردة » : هي عندى أعز من ابنة شقيقة ، بل أعز من نفسي ، ولن

أفقدها! » فقالت « وردة » : — « لقد كنت لى يا سيدتى أمنًا بَرَّةً رؤومًا ، فلن أنسى فضلك ما حييت! » واقترب « أوليڤر » من « وردة » وقال لها وهو يعانقها :

« أُمَّا أَنَا فَلَمِ تَكُونَى لَى خَالَةَ فَقَط ، بِل كُنت شَقِيقَة عزيزة "



6666666666666 171 9999999999999

1

واضطر « مونك » أن يقد م إلى « أوليفر » نصيبه من ميراث أبيه ، غير أن « أوليفر » أبنة أن السلم الحر السلم ، ولا سيسما أنه كان قد بد د نصيبه الحاص به ، فرحل إلى أمريكا محتفظاً باسم « مونك » المستعار ، ولكنسة عاد هناك إلى سيرته الشريرة ، فقضى نحسبة في أحد السبحون .

وزُفَّت الآنسة «وردة » إلى الفتى « هنرى » ابن السيَّدة الوقور التى ربَّتها وكفلتها، فعاشا فى ظلال تلك الديدة الكريمة عيشة هنيئة سعيدة واختارا السُّكنى فى « لندن » وكان طبيب الأسرة يزورهم حينًا بعد حين ، ويقضى معهم سهرات جميلة . وكان سرورهم يبلغ منتهاه عندما ينضم اليهم السيّد « براون » ومعه « أوليڤر » الذى تبنيّاه فية ضون جميعناً ساعات ممتعة تُحنَّى هناءتُها ما فى فؤاد كل منهم من ذكريات اليمة . . .

ونشأ « أوليڤر » نشأة طالحة ، وساعدته فضائلُه ومكارم أخلاقه وطيب عنصره ، على أن يكون مثال الشباب العاملين الناجحين . . .